جامعة الجزائر03

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

مطبوعة في مقياس: ابستمولوجيا علم السياسة

السداسي الثالث جذع مشترك السنة الثانية علوم سياسية

أستاذة المقياس:

بقدي فاطمة، محاضرة أ

السنة الجامعية: 2021-2022

تشمل المطبوعة على العناصر التالية:

أولا: مدخل مفاهيمي لدراسة إبستيمولوجيا علم السياسة

1- التطور المعرفي للمنظور للعلم
2- ضبط مفاهيمي للإبستمولوجيا
3- علاقة الإبستمولوجيا بالعلوم الأخرى

ثانيا: الأرضيات المعرفية لدراسة ابستيمولوجيا علم السياسة

1- الوضعية وما بعد الوضعية
2- الوضعية وما بعد الوضعية في علم السياسة

ثالثا: الاتجاهات الفكرية المفسرة لحركة تطور العلم.

1- النسبية العلمية لدى كارل بوبر
2- النموذج المعرفي لدى توماس كوهن
3- البرامج البحثية لدى امبري لاكاتوس
4- الحقيقة والمنهج لدى باول فيرابند
5- القطيعة المعرفية لدى غاستون بشلار
6- حدود المعرفة العلمية لدى ادغار موران
7- اليقين التقريبي لدى هانس ريشنباخ

رابعا: مسارات تطور علم السياسة

1- تعريف علم السياسة
2- اقترابات تقليدية لدراسة علم السياسة
3- ثلاث مدارس فكرية لدراسة علم السياسة
   - المدرسة المثالية
   - المدرسة الوضعية المادية
   - المدرسة النسبية –المنظوراتية– Relativism
4- النَزعات الكبرى لدراسة علم السياسة

5- ما بعد السلوكية: نحو علم سياسة جديد؟

أهداف تدريس المقياس:

بناء قدرة على التحليل والتقييم لمختلف النظريات والوسائل التحليلية المستعملة في العلوم السياسية لتحديد ملاءمتها وفعاليتها (التحليل النقدي)

المعارف المسبقة المطلوبة:

المعارف المكتسبة والتكوين القاعدي للطالب في الفلسفة والاقتصاد والتاريخ المعاصر والمفاهيم الادارية والقانونية والتكوينات ذات الصلة التي تساعد على دراسة العلوم السياسية.

يتساؤل طالب العلم، طالب العلوم السياسية تحديدا، لماذا ندرس الإبستمولوجيا؟ وهو سؤال مربوط بالمقياس والصعوبات والغموض المحيط به لفهمه، كما يُربط بجميع المقاييس الأخرى المدروسة والتخصصات الأخرى سؤاء الإجتماعية–الإنسانية وكذا الطبيعبية الفيزيائية وغيرها من العلوم المتعارف عليها أو تلك الجديدة التي لا تنفك تتوسع كالشبكة. إنه السؤال ذو المحتوى الفلسفي أو شبه الفلسفي، ذلك أن مثل كذا مقاييس تحتاج المزيد من الجهد، القراءات المتأنية والتلخيصات وحتى الإنفتاح على جملة العلوم والمقاربات والإتجاهات لتقريب الفكرة أكثر حول الإبستمولوجيا عموما، وإبستمولوجيا علم السياسة تخصيصا.

أولا: مدخل مفاهيمي لدراسة إبستيمولوجيا علم السياسة

سيتم الإضاءة على هذه النقطة المهمة من المقياس من خلال تلخيص أهم المنظورات لكيفية تطور العلم منذ القرن السادس عشر في أوروبا، إضافة إلى شروحات قاموسية، توضيحية في الهوامش المطبوعة لمختلف المفاهيم المركزية المساعدة على تقريب فكرة الابستمولوجيا للطالب، تمهيدا لفهم الأرضية التي تتأسس عليها الإبستمولوجيا عموما وإبستمولوجيا علم السياسة على وجه التخصيص.

فيما يختلف العلم الحديث عن العلماء القدماء؟

1- تطور المعرفي للمنظور للعلم:

جاء في المبحث الأول من الفصل الأول المعنون بمفهوم العلم من كتاب نصر محمد عارف[1]،- بخلاف كتاب نصر محمد عارف الصادر منذ لعشرين سنة ماضية، يكاد يخلو المجال العربي من أوراق وأبحاث عن موضوع سياسة مقارنة-، ما يلي:

يُعد مفهوم العلم من أهم المفاهيم التي يجب استبطانها عند البحث في أي علم من العلوم، وهو بمثابة ميتافزيقا البحث، وهو الإطار والمحتوى لكل ممارسة أكاديمية، وفي نفس الوقت يعد من أصعب المفاهيم وأكثرها خطورة في التناول. ذلك بالنظر إلى التوسع في استخدامه. وقد مر العلم بمراحل كثيرة أدت إلى تطوره، من أصوله الإغريقية المبني على رؤية خاصة للكون وفق ثنائية الآلهة والبشر وما صاحبها من تبني منهج الشك للتمييز بين المعرفة الحقيقية والمعرفة الزائفة،

لم يكن يُقصد بمفهوم العلم منذ عهد الإغريق حتى نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة معنى خارج إطار الفلسفة، إذ أن مفهوم العلم كان يتضمن معاني المعرفة وحب الحكمة والبحث عن اليقين، وقد تقوى هذا الفهم في القرن الثاني عشر مع انشاء الجامعات في اوروبا وترجمة اعمال ارسطو واضافة المعرفة المقدسة الالهية حتى القرن السادس عشر، وفيما بين 1620-1830 بدأ يحدث تغير جوهري في مفهوم العلم، إذ بدأ يأخذ لغة التداول العام بمعنى العلم الطبيعي أو الفيزيائي وأصبح مستقلا عن المعرفة وعن الفلسفة.

[1] - محمد ناصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي- النظرية- المنهج. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002.

مع الثورة العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر بدأ العلم يأخذ الصبغة المادية الميكانيكية تعود إلى ما قدمة ارشميدس من أسس ومفاهيم للتحويل الكمي الميكانيكي للظواهر، وذلك في سياق الصراع بين تقاليد علمية ثلاثة:

أولا: فكرة الرشادة والإنطلاق من نظرة عضوية للعالم ترى أن الكون وقوانينه هي نفس القوانين التي تحكم الكائن الحي.

ثانيا: الأفلاطونية المحدثة والقائمة على مفاهيم الأسطورة والرياضة.

ثالثا: ابحاث ارشميدس والتي ترتبط بشكل أو بآخر بأبحاث كل من فرنسيس بيكون، ديكارت، جاليليو، نيوتن، توماس هوبز، جون لوك، ديفيد هيوم، وهو الاتجاه الذي أسس الفصل بين العلم والدين، وجعل العلم قائما على التجربة، المعروفة بالنزعة الإمبريقية، ونتيجة هذا الفصل تم الفصل بين القيم والحقائق، وأبحث القيمة والحقيقة مرتبطة بالواقع، والإمبريقية لا تكتفي بالفصل بين القيم والحقائق فحسب، بل ركزت بصورة أساسية على معرفة الظاهرة الطبيعية، ووضعت القيم في مرتبة أدنى بكثير من الحقائق الإمبريقية.

القرن الثامن عشر، فيه اصبحث الفلسفة الإمبريقية أكثر أهمية خصوصا بعدما اضحت فرنسا مركزا للفكر المتقدم في حركة التنوير، فالمنهج العلمي لنيوتن حسب مؤسسوا الحركة، يحقق العلمنة، العقلانية والعدالة. وتلاقي ذلك مع افتراضات النفعيين البريطانيين أمثال بينتام وميل والماديين الألمان مثل ماركس وانجلز، كل هذا أسس **للوضعية المنطقية** ضمن حلقة فيينا. المدرسة التي انطلقت من أن الدين لا معنى له وأن العلم يتعامل مع الحقائق القابلة للإثبات والمراجعة الإمبريقية.

هذه الفكرة انطلقت منها حركة الحداثة خاصة فكرة ماكس فيبر حول نزع القداسة عن العالم، بإيجاد رؤية للإنسان والكون والحياة تقوم على انه ليس هناك شيئ غامض او مقدس او لا يمكن الإمساك به في هذا الكون.

في القرن العشرين، بينما كانت حركة نزع الحجب عن العلم تتقدم في العديد من المجالات، برزت حركة مضادة في فلسفة العلم وتاريخ وعلم اجتماع العلم وعلم نفس العلم، وفي العلوم الطبيعية ذاتها، ووجدت دفعها في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تمكنت أولا من قطع العلاقة بين العلم وبين عملية نزع القداسة، واطلاق حركة مضادة باعادة القداسة أو الحجب للعلم، والإقرار أنه لا يمكن الإمساك بكل

الحقيقة أو كشفها كاملة وذلك من خلال إعادة النظر في طبيعة العلم وتقديم نظرة جديدة لأصول العلم الحديث وإحداث تطورات داخله، وتزايدت القناعات أن العلم ليس حقلا خاليا من القيم.

ويمكن الخلاصة أن التقاليد العلمية الأرثوذكسية: التحويل الكمي، المادية الميكانيكية، الإختزالية، العقلية الحدية. وبدأ يحل محلها بوادر تقاليد جديدة، أساسا احياء الافلاطونية المحدثة في القرن 17 وتقوم هذه النظرة غير الأرثوذكسية على: الإقتراب الكيفي، اعطاء العلم معنى روحي يوصله بالله، الكلية والشمول، العقلية المرنة.

القرن السابع عشر بزغ فيه نجم ديكارت ونيوتن، يعود لهما الفضل في صياغة المفهوم الحديث للعلم الأوروبي وبداية عهد جديد. بالرغم من وجود بعض المفاهيم الديكارتية في العلم الفيزيائي النيوتني، إلا أنهما ينتميان إلى منظومتين فكريتين مختلفتين في الجوهر.

1- العلم اليقيني الديكارتي: 1596-1650

أحدث ديكارت تحولا في مسار الفلسفة والموقف منها، إذ تنطلق من الميتافيزيقا وتمر بمختلف العلوم. كان انشغاله الأساسي حول منهج التفكير "الكوجيتو" وقد عرف بالشك في قيمة المعرفة الفلسفية. لقد أصبح القرن السابع عشر هو عصر التفكير في المنهج سواء في الفلسفة أم الفلك أم العلوم الطبيعية. ليؤسس منظورا جديدا للفلسفة والعلوم من اجل التخلي عن منهج أرسطو. واعتبر المنهج نمطا متميزا يشترطه البحث العلمي ومتميزا عن الفكر التقليدي في الفلسفة.

حسب إدغار موران: "يشكل تطور العلم الغربي، في القرن السادس عشر والسابع عشر، نوعا من البحث عن العقلنة (بموازاة أشكال التفسير الأخرى). لكن هذا التطور يبدو أيضا وكأنه قطيعة مع التأويل العقلاني الأرسطي-المدرسي، بواسطة التأكيد على أولوية التجربة على التناسق المنطقي"[2].ومنه تم اسقاط التصورات الإبستمولوجية الأرسطية القديمة ليحل محلها العلم الديكارتي. والتأسيس للفلسفة الحديثة. فقد سعى ديكارت للوصول إلى المعرفة انطلاقا من منهج فيه من الدقة واليقين على غرار الرياضيات التي تنبعده عن الوقوع في الشك المطلق وكان هدفه القضاء على التعدد وأن يكون هناك علم واحد مصدره العقل."وقد

[2] – ارغار موران، العقلانية وانتقاداتها، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، دار توبقال للنشر الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2006، ص 20

أعجب بالرياضيات واعتبر الهندسة أكثر يقينا من الفيزياء والفلك أما الفلسفة فقد تركت في نفسه أثرا سيئا لكثرة ما فيها من أخذ ورد.." [3] كما راى أنه "ينبغي لعلم الفيزياء أن يتأسس على مبادئ مماثلة للبديهيات التي تأسست عليها الهندسة". أهم مؤلفاته، "المقال في الطريقة".

2- **العلم النيوتني: 1642-1727**، اسحاق نيوتن رياضي وفلكي وفيزيائي انجليزي شغل بدراسة بنية وتحولات المادة.

لقد أنجز نيوتن في العصر الحديث "النصر النهائي والكامل، الذي شق له الطريق كوبرنيكوس، وكبلر، وجاليليو، لقد كان النصر كاملا إلى حد ينذر بالخطر من أن يغدو نيوتن أرسطو آخر، يفرض على التقدم حاجزا لا يمكن تخطيه"[4]، بهذه الصورة كان أعظم شخصية تبرز في القرن الثامن عشر، لن اكتشافاته: قوة الجاذبية، وحساب التفاصيل والتكامل، وتفسير الظواهر الضوئية، جعلته يحقق "الفيزياء الكلاسيكية وحدتها في إطار تصور عام للكون منسجم ومتكامل"[5]، كما يتجلى ذلك من خلال كتابه "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية" الذي استعرض فيه الأسس التي بنى عليها علم الميكانيكا وهي:

1- "يبقى الجسم ساكنا، أو يستمر في حركته على خط مستقيم وبسرعة ثابتة، ما لم يكن خاضعا لتثير قوة خارجية.
2- إذا تغايرت حركة جسم ما، فإن هذا التغير يكون متناسبا تناسبا طرديا مع القوة الخارجية، وتناسبا عكسيا مع كتلة الجسم، ويتم هذا التغير في اتجاه تلك القوة.
3- كل فعل يقبله رد فعل مساو له ومتجه في عكس اتجاه الفعل"[6].

" أما افتراق العلم الحديث عن العلم اليوناني القديم، فبالإضافة إلى افتراقاته السابقة عن علم الشرقيين، فهو قد نقل موضوع العلم من الكلي المجرد إلى الجزئي المجسد. ليستقل التفكير العلمي عن الفلسفي والماورائي

[3] – كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم بيروت–لبنان د ت ن، د ط، ص 58.

[4] – برتراند راسل، مشكلة الفلسفة، تر: محمد عماد الدين اسماعيل، عطية محمود هنا، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1974، ص ص 70-71.

[5] – محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982، ص 45.

[6] – نفس المرجع السابق، ص 47.

وينتهج الطريقة التجريبية الاستقرائية (التعميم لا تخصيص) "هذا التوجه الجديد للعلم واتخاذ التجربة معيارا للحقائق قلل من اهمية الفلسفة واهدافها الميتافيزيقية".

"يُنظر عادة إلى سنة 1543، على أنها السنة التي نشأ فيها العلم الحديث، إذ فيها نشر كتاب مهم قلب نظرتنا للطبيعة والكون، وهو من تأليف رجل يُدعى نيكولا كوبرنيكوس..."[7]، الذي جدد في الفيزياء وفي الفلك على الخصوص. وتم التخلي عن التفسيرات القديمة وانعكست بواكير الفكر الجديد على الأبحاث، إن في المجال العلمي أو الفلسفي.. هذه التطورات، "الثورات العلمية" حدثت في أقل من نصف قرن من الزمان 1602-1637، وتميز بالإستقراء. ويتميز العصر عن سابقيه بالتركيز على نظرية المعرفة والتفكير العلمي، وهو عصر تبدل علمي وفلسفي جذري، ورافقته ثورة تكنولوجية وثورات علمية". القرن السابع عشر هو قرن الفيزياء الحديثة مع غاليليي ونيوتن وهو القرن الذي بدأت العلوم الدقيقة تخرج من صلب الفلسفة.

"تاريخيا، يمكن اعتبار نيوتن أول من قدم تصورا ميكانيكيا متكاملا للطبيعة وذلك في كتابه **"المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية"**[8]. وقد انتقل ترسيخ هذا المبدأ إلى كافة العلماء والمفكرين إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر القائم على النظرة الميكانيكية للعالم ورفض كل القوى الخفية أو الغائية، أي المادية العقلانية العلمية القائمة على الحتمية واللاغائية.

في القرن السابع عشر برز فكر ديكارت ونيوتن، وقد أثرت المبادئ العامة النيوتنية طيلة قرنين من الزمان، فسميت الفيزياء باسمه "فيزياء نيوتن". وساد الاعتقاد الى غاية القرن التاسع عشر أن القواعد الأساسية التي شيدت عليها الفيزياء أزلية وأبدية ومنطلق البحث في العالم المادي بلا منازع وعلى كل المستويات، كانت فيزياء المطلق هي الرائجة، الثورة العلمية الأولى النيوتنية.

[7] – يفوت، سالم، ابستمولوجيا العلم الحديث، ص 09.

[8] – بن ميس عبد السلام، السببية في الفيزياء الكلاسيكية: دراسة ابستمولوجية، المغرب: الدار البيضاء، سلسلة المعرفة الفلسفية، دار توبقال للنشر، ط1، 1994، ص 31

"تم تصور مبادئ الميكنيكا بأنها قادرة على تقديم تفسير كوني لظواهر الحركة"[9]. بالرغم من ذلك، سيتم اكتشاف أن الميكانيكا لا تقدم الأساس الشامل للتفسير النظري لجميع الظواهر الطبيعية.

"يمكن القول أن النظرية الكلاسيكية، التي ولدت كنتيجة لسلسلة من عمليات التوحيد على صعيدي المنهجية والعناصر النظرية، تضمنت تناقضات داخلية كامنة فيها منذ نشأتها بالنظر إلى محدودية قاعدتها المادية"[10]. كشفت عنها الفيزياء الذرية أو المجهرية التي درسها علماء القرن العشرين. أساسا اعتبار الحقيقة العلمية ليست مطلقة، الزمان والمكان ليس لهما طبيعة مطلقة كما رأى نيوتن.

على الصعيد المعرفي، شهد القرن السابع عشر درجة كبيرة من تطور العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية فضلا عن بدايات النجاح بالنسبة لعلوم الحياة. وظهور ظواهر جديدة وصعوبات كثيرة تعجز الفيزياء الكلاسيكية عن تفسيرها، وكان لزاما على العلماء على الاستعاضة عن قوانين نيوتن ووضع فلسفة جديدة عن الكون وحوادثه من خلال طرح مفاهيم وتصورات معاصرة أحدثت ثورة وتحولات جذرية كانت منعطفا حاسما فيما نعتقده عن المعرفة العلمية.

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأت تظهر الرُؤى المتناقضة والمناهضة للعلم الكلاسيكي ومبادئه الصارمة. وصل العلماء لبراهين علمية تبين نقائص وأخطاء العلم الذي أرساه نيوتن. لتظهر مع ذلك الثورة العلمية الثانية ذات نسق وأسس مغايرة. **"الثورة الفيزيائية الثانية الكوانتوم والنسبية"** إنها الثورة على المطلق النيوتني.

لقد بدأ القرن العشرين بثورات علمية وبخاصة في ميدان الفيزياء وسوف نركز على أبرز القضايا فيما يتعلق بالتطور الذي حدث على مدى تلك الفترة من خلال أهم من أسهموا وبشكل رئيسي في الانتقال من الفكر الكلاسيكي إلى الفكر النسبي وتشكيل ملامح الفكر العلمي الجديد.

ان مبدأ النسبية الذي اعتبر أن السكون والحركة غير مطلقين لا يصلح للميكانيكا فحسب بل يشمل كل الوقائع الطبيعية. تخلت الابستمولوجيا المعاصرة عن الحتمية والإطراد أو القوانين الطبيعية.

---

[9] - Vorms, Marions, Qu'est-ce qu'une théorie scientifique ? Collection « Philosophie des sciences » dirigé par Thierry Martin, Vuibert, par EMDS.A.S France, 2011, p 10.

[10]- هشام غصيب، الطريق إلى النسبية من كوبرنيكوس إلى آنشتاين، الأردن: الجمعية العلمية الملكية، ط 1، 1988، ص 16.

3- فيزياء أنشتاين: (1879-1955)

لقد سادت القوانين العلمية جميع المجالات، مع القدرة على التحكم بالظواهر بإختلاف أنواعها، لكن عندما أُثير التساؤل حول: هل تلك القوانين تظل ثابتة، إذا ما انتقلنا من مكان إلى آخر على افتراض أن أحد المكانين يتحرك بالنسبة للآخر، وبعبارة أخرى، هل يمكن صياغة قوانين الطبيعة بحث لا تتغير بتغير المكان الذي تُصاغ فيه؟ ظهرت علامات الثورة العلمية الجديدة. الانتقال من مرحلة إلى أخرى في العلم هو انتقال ثوري، شهد القرن العشرين ثورة علمية جديدة وشاملة، أدت الى تقويض العديد من الدعائم والتصورات، ستكون مسألة "الأثير" منطلقا لنظرية النسبية عند انشتاين 1955.

افتراض فيزياء نيوتن وجود مكان مطلق لتفسير حركة الأجسام استنادا الى هندسة اقليد ذات الأبعاد الثلاثة، بالإضافة إلى وجود زمان مطلق مستقل عن الأجسام... بالإضافة إلى الأسباب عديدة، عجلت بظهور ما يسمى بأزمة العلوم الطبيعية والرياضية ولم تنته الأزمة أو توشك على الإنتهاء إلا بعد ظهور فروض ونظريات علمية جديدة نعرض بايجاز ثلاثة منها: نظرية النسبية، نظرية الكم، الميكانيكا الموجية.

تعني نظرية النسبية: "نظرية فيزيائية وضعها آنشتاين على مرحلتين، تدعى الأولى مرحلة "النسبية المقيدة" في عام 1905، والثانية تدعى "النسبية المعممة" انطلاقا من 1913[11].

انشغل العلماء في تلك الفترة بالكون المجهري للذرات وليس الكون الذي شغل نيوتن، أو كون الأجسام الكبيرة، ومن اهم النتائج هو دحض مبدأ العلية او السببية والحديث عن الصدفة في العلم، وأيضا ان السببية لم تعد تعني امكانية التنبأ الدقيق اليقيني وظهر بالمقابل التأكيد على الإحتمال.

النظرية الثانية "الكوانتوم" ان تصورات الطبيعة تزداد صعوبة على الفهم. فقد غيرت النظرية النسبية أولا، ثم النظرية الكمية ونظرية الميكانيكا الموجية من بعدها، شكل العالم، وجعلته يبدو وهميا في عقولنا. التفكير العلمي الجديد اصبح اكثر دقة ويسلم بان الموضوعية حتى في العلوم البحتة لا يمكن ان تكون مطلقة ". ان كل معرفة هي نسبة ذات وموضوع تجعل كلا منهما مشروطا بالاخر ويحدده. ولكل عقل قوالبه التي يصب فيها المعطيات ومن ثم تختلف صور المعرفة باختلاف العقول.. فبتقدم العلوم بدت الحقائق كأنها

[11] – لالاند، أندريه، موسوعة الاند الفلسفية، المجلد الثالث، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط1، 1996، 12020

تتراجع بمقدار ما يسعى العلماء الى ملاحقتها ومحاولة الامساك بها ويعاد النظر في الأعمال السابقة، جاءت النسبية بديلا لعلم عد كاملا مطلقا على مدى قرون.

4- نظرية الكوانطا:

إن أهم ثورتان عرفهما القرن العشرين في مجال دراسة المادة كانتا منعطفا حاسما في تطور العلوم، النسبية وميكانيكا الكم، كأساس للفيزياء المعاصرة. فمنذ بداية القرن العشرين، انطلقت الفيزياء الكوانطية انطلاقة جديدة لا فقط على مستوى الأفكار الفيزيائية، بل ايضا على مستوى الفلسفة والمنطق حيث لم يكن بالإمكان صياغتها بالإستناد إلى المفاهيم المستساغة عن السرعة والموضوع والحتمية وغيرها، ساهمت الثورة الكوانطية في تقويض المطلق وأصبحت مفاهيمها حقيقة أقر بها العلماء وكانت تقدما جديدا للعلم. انها تتميز بسقوط العلية واليقين وتجاوز بالتالي علم الفيزياء الكلاسيكي والتفكير الفلسفي الذي تأسس على مبادئه الراسخة.

عن نشاط الإلكترون مثلا "فإن موضعه وسرعته في أية لحظة لا يمكن قياسها بدقة، ومعنى هذا أنه لا يمكن التنبأ بمستقبل أي نظام فيزيائي في المستوى تحت الذري"[12]. لقد زادت هذه النظرية من معرفتنا للذرة وجزئياتها، أبانت عن حقيقة ابستمولوجية تكمن في أن معرفة الإلكترون تعتمد على معرفة الموجة التي ترتبط به وعليها تقوم معادلات الميكانيكا فظهر تفكير جديد.

بدأ ماكس بلانك 185-1947 أول مرحلة في هذه النظرية، توصل إلى معادلة رياضية مفسرة لظاهرة من ظواهر الإشعاع الحراري والطاقة وإلى أن الذرات لا تحتوي على جزيئات بل كذلك على طاقة (حرارة، صوت، كهرباء، طاقة حركية، طاقة مغناطسية..) وإلى انقسام الضوء (مرئي وغير مرئي يكمن في الإشعاع) وغيرها من الحقائق الفيزيائية لا حصر لها وغير المعهودة من قبل.

وفي مقالة العلم والإيمان يوضح: " الحقائق التجريبية مليئة بالفجوات ولا يتم شغلها وربطها إلا بالأفكار التي يتخيلها الباحث"، يرى أن الضوء يصدر على شكل دفقات متقطعة من الطاقة وكان ذلك اكتشافا جديدا. ورأى أن المادة مشتقة من العقل حيث المعرفة من صنع فكر الإنسان أو لنقل تنتج عن علاقة بين

[12] – بدوي، عبد الرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص 44.

المادة وما يتصوره عنها ذهن العالم. فالعالم نفسره كما يبدو لعقولنا حسب الملاحظة وما تعتمد عليه من أجهزة علمية.

نظرية الكوانتم كان لها مضامين ونتائج معرفية وابستمولوجية، وأحدثت تغيرات كبيرة في الفيزياء وعلم المناهج ومنطق جديد يقوم على أسس مختلفة عن أسس المنطق سابقا". في نفس الفترة، أي الثلاثينيات، تم تطوير أشكال مختلفة من المنطق متعدد القيم، انطلاقا من فكرة نسبية المنطق"[13].

وقد ترتب عن الإكتشافات الجديدة الدخول في ثقافة علمية غير مألوفة نتيجة انقلابات جذرية في حقل العلوم، لكن "اكتشف علماء الذرة منذ الربع الأخير من القرن الماضي والعشرين سنة من القرن الحالي قدر ما بذله العلماء من جهود في عشرين قرنا مضت".

أما الصعوبات التي طرحتها الإشكالية الكوانطية فقد نجم عنها انفتاح آفاق جديدة في ميدان التطور العلمي، وإعادة صياغة الحقائق فالتفسير الماكروسكوبي تبين عدم مطابقته لتفسير عالم الجسيمات الصغيرة ولأنه سيظهر في النهاية أن الحوادث تحدث من تلقاء نفسها ودون سبب على الإطلاق، حيث أن المراقبة التدريجية للظواهر اعترضتها حوادث لا تحكمها أية قوانين.

كانت الفيزياء السابقة قائمة على السببية أما الذرية فعلى العكس تماما وينجر عن ذلك أمورا أخرى مثل ضرورة التسلي باللاتنبؤ واللاحتمية، بلانك لم يرفض السببية ولكنه لم يرفض أيضا فكرة القانون الإحتمالي وهذا ما يؤكد عليه التفكير العلمي المعاصر. ففي هذا القرن تم الانتفال الى مستوى من الفهم للتجربة العلمية يقر بتأثير الذات على التجريب والذي ربما يكون وراء الاختلاف والتفاوت بين العلماء.

اتجهت كثير من المذاهب الفلسفية المعاصرة الى اعطاء الحقيقة معنى جديدا غير معنى مطابقة الفكر لموضوعه. لقد حدثت ثورات علمية ألغت تصورات علمية كثيرة سادت من قبل لتحل محلها علاقات الإرتياب واللاتعيين والإحتمالية بدل اليقين.

نظرية الكم وعلى غرار نظرية النسبية الأنشطاينية كان لها دور أساسي في ذلك التغيير في المفاهيم وفي دراسة المادة والطاقة. وكانت الكوانتا جزء ثانيا من تغيير كبير حدث في العلم على مستوى المفاهيم

[13] – بن ميس، عبد السلام، قضايا في الإبستمولوجيا والمنطق، ص 107

والمصطلحات والنظرة إلى بنية الكون والمادة وطبيعة العلم، هذا الأخير الذي يخلق ويركب موضوعاته وحيث ما يخلقه هو العالم الموضوعي الحقيقي إذ تكون المعرفة مبنية لا معطاة وغير جاهزة.

"لعل أهم سمة من سمات الروح الجديدة هو اثبات طابع اللامباشرة والإنفصال الذي أخذ يطبع العلم المعاصر، هذا العلم الذي أصبح يضع الوضوح في التراكيب الإبستمولوجية وليس في تأمل منعزل لموضوعات مركبة، والذي أصبح يؤمن بالوضوح الإجرائي محل الوضوح في حد ذاته"[14]. فالمعرفة العلمية الآن تعنى بتحديد علاقات الشيئ وهذا يمثل الواقعية الحقيقية بعيدا عن الوصف المباشر. ما دامت المفاهيم تغيرت وغير بعيدة عن النقد حيث يمكنها أن تتهاوى أمام أيه هجمات من مفاهيم أخرى تبرز على الساحة العلمية. "وبالموضوع المبني بدل الموضوع المعطى، والحدس –النتيجة بدل الحدس—البداية، ليعلمنا أن التفكير العلمي سلسلة من القطيعات والإنفصالات، وأن التفكير، بصفة عامة، غزو وفعالية ونقد وإعادة نظر"[15].

حسب **عالم الميكرو فيزياء هيزنبرغ**، المنادي بمبدأ اللاحتمية واللاتحديد في العلم، "إن المفاهيم هي أدوات أو وسائل نحن ابتدعناها واتفقنا عليها لتطوير فهمنا للطبيعة. ولتمكيننا من التعبير عنها بشكل أبسط يساعدنا على تحقيق مزيد من التعميمات العلمية، أي هي مجرد حدود للتفسير فحسب.. وهكذا نجد أنفسنا مرغمين على طرح قضية "معنى" الحقيقة في العلم، بمعنى هل آية الحقيقة في العلم هي شهادة الحواس، ام هي الإتساق المنطقي للمعادلات والنظريات، أم لعلها نجاح التنبؤات، وإن تعارضت مع منطق العقل والواقع معا"[16]. لذا، برزت للوجود اعتبارات جديدة تبنتها طرحات وقراءات ابستمولوجية عديدة واكبت وسايرت مكتشفات العلوم ومستجداتها التي قطعت مع القديم وتناقضاته ونقائصه. انتقدت مدرسة كوبنهاجن نظرية الكوانتم واتباعها.

---

[14] – محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، المعرفة العلمية، دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1996، ص 6.

[15] – نفس المرجع السابق.

[16] – عبد الفتاح بدوي فلسفة العلوم، العلم ومستقبل الإنسان..إلى أين؟ ص 14

2- ضبط مفاهيمي للإبستمولوجيا

حظيت المسائل المرتبطة بنظرية المعرفة والدراسات الابستمولوجية باهتمام واضح في اوساط النخبة المثقفة العربية. الهدف هو التعرف على الآليات التي تكون بها العلم الحديث واسسه وأبعاده المعرفية والقيمية إن مواكبة ما يُنجز من بحوث ابستمولوجية في الغرب، فضلا عن تحيينها في ضوء ما يجد دوما من تطور في بناء و/أو إعادة بناء المعرفة العلمية وفتح حقول جديدة للإكتشاف العلمي. لا يخلو أمر الوقوف على دلالة الإبستملوجيا من صعوبات جمة من الناحية الإصطلاحية، ومن حيث اتساع حدودها ونوعية صلاتها بمجالات أخرى من الدراسة تتقاطع معها مثل علم المناهج... وبالعلوم الإنسانية-الاجتماعية وخاصة منها علم النفس وعلم الإجتماع، وكذا من حيث الصلات الضمنية والصريحة التي تربطها بالفلسفة. الكتاب يعيننا على تذليل الصعوبات القائمة في فهم دلالاتها الإصطلاحية وتحديد مجاها المخصوص وتشابك العلاقات التي تصلها بغيرها من المجالات المعرفية، العلم نفسه بعيد ان يكون علميا نفسه.

العلم:

حسب معجم روبار (Robert) يرجع الظهور الأول للمصطلح في المعاجم الفرنسية الى ملحق لاروس المصور (Larousse Illustré) لسنة 1906 وبعد تأليف معجم الفلسفة للالاند، كان يُنظر إليه على أنه لفظ جديد. إن كلمة العلم اتخذت، منذ القرن الثامن عشر، معنى أكثر حصرا ودقة. في القرن السابع عشر، وبعد الدقة الحاسمة التي أحدثها "غاليلي" " Galilée"، ظل العلم الجديد غير منفصل بما فيه الكفاية عن

الفلسفة. عند "نيوتن" "Newton" كما عند "ديكارت" "Descartes"، كان يُعرض العلم تحت عنوان مبادئ الفلسفة، وظلت الفلسفة الطبيعية عند الإنجليز حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريبا، تعني الفيزياء، كما احتفظت كلمة علم بالألمانية " Wissenschaft" بنفس المعنى المطابق للفلسفة. وعندما يريد الألمان التدقيق أكثر في لفظ العلم فيظطرون إلى اشتقاق لفظ آخر هو فلسفة العلم.

في القرن الثامن عشر، كتبت العديد من المقالات التمهيدية لما ستكون عليه الإبستمولوجيا، مثل المقال التمهيدي للموسوعة الذي كتبه "دلمبار". في بداية القرن التاسع عشر، المجلد الثاني من فلسفة الذهن البشري 1814، ل"ديقالد ستيوارت" ودروس في الفلسفة الوضعية ل"أوغست كونت"، الذي أصبح أكبر ابستمولوجي في القرن التاسع عشر، والمقال التمهيدي لدراسة الفلسفة الطبيعية 1830، ل"جون هارشل"، كلها كانت تبشر بالإبستمولوجيا، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تم كتابة مقالين يؤسسان للإبستمولوجيا دون استعمال اللفظ: نظرية العلم، متعلق بالعلوم الصورية، أي المنطق والرياضيات، 1837، ل"برنار بلزانو" والثاني خاص بالعلوم الطبيعبة "فلسفة العلوم الإستقرائية لواوول.

في 1900، بدأت مناقشة مبادئ العلم "الكلاسيكي" بطرح جدي، ونما تيار مهم "نقد العلوم" ضد الوثوقية والعلموية للمؤلفين ذوي التكوين العلمي، كتناول طبيعة القوانين والنظريات في الفيزياء، تزامن مع أزمة الأسس التي أحدثتها نقائض المجموعات، عانى منها علماء الرياضيات، اظطروا لإعادة النظر في مبادئ علمهم.

الابستمولوجيا هي التفكير في العلم، يتم ادخالها ضمن **ما بعد العلم**، تتميز عنه ببعض الدقائق فحسب، مع احتفاظها بطابع فلسفي متميز بدرجات متفاوتة، رغم مجهوداتها للتخفيف منه. في هذا الواقع الذي التقت فيه العلمية والتفكير الفلسفي، هو التقاء اقتضته بإلحاح وضعية العلم ذاتها وجعله التخصص العلمي الراجع إلى نمو العلم نادرا أكثر فأكثر–وجدت الإبستمولوجيا نفسها قد تكونت كمادة /تخصص، طريف، أي كرس انطلاقتها هذا الأمر الواقع.

الإبستيمولوجيا:

ظهر "درس الإبستمولوجيا" مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين ليواكب تطور العلم بعدما "أحدثت الهندسات اللاإقليدية، ونظرية المجموعات، ونظرية النسبية، ونظرية

الكوانتوم، ثورة في مبادئ العلم التقليدية التي كان يعتقد في يقينيتها"[17]. وفي المرحلة الأولى من هذا العصر ظهرت الفلسفة الوضعية لتضع حدا فاصلا بين الفلسفة والعلم، بحكم أن الأولى تبحث فيما يجب أن يقع، أو ما ينبغي أن يكون، أما الثاني، فيدرس الوقائع، أو ما هو كائن، وبذلك "لأول مرة مع اوغست كونت تتخلى الفلسفة عن نظرية المعرفة التقليدية من أجل نظرية العلم"[18].

هي طريقة بناء المعرفة، أي الوسائل (النظريات، المقاربات، المداخل، المناهج، أدوات التحليل،...) التي توصلنا إلى فهم وتحليل الظواهر التي ندرسها. عندما نطرح التساؤل: كيف نعرف؟ ? how to know

لابستيمولوجيا هي فلسفة للعلم، أو ما تعارف عليه **بعلم نقد المعرفة،** لكن يبدو من العملي بالنسبة للطالب، هو أن يبني فهم حول ابستيمولوجيا علم السياسة، بأنها **الجانب المعرفي من علم السياسة، توليفة** النظريات والمقاربات والادوات التحليلية بكل اختلافاتها التي تحاول إعطاء فهم حول الظواهر المدروسة وهي الظواهر التي تدخل في حقل دراسة العلوم السياسية.

إن الدارس الذي يدرس النظريات التي تحلل العلاقات الدولية، النظريات التي تقوم بتحليل السياسة العامة، النظريات التي تفسر سلوك النظام السياسي، المقاربات التي تفسر النزاعات الدولية، المقاربات التي تقدم تحليلات حول الأمن حول التكامل، حول الحوكمة، كل الحقول الدراسية في العلوم السياسية. هذا الجانب نسميه الإبستيمولوجيا.

العلم يقوم على قطبين أساسيين الابستيمولوجيا والأنطولوجيا، أي الظواهر التي يدرسها (الانطولوجيا) بوسائل علمية (الابستيمولوجيا)، لذلك فالدفاع عن علم السياسة على أنه علم يكون ضمن الدفاع عن: هل يملك إبستيمولوجيا؟ هل يملك نظريات، مقاربات، مداخل أدوات بحث... لديها القدرة على التحليل؟

3- علاقة الابستمولوجيا بالعلوم الاخرى

وردت عبارة جد معبرة عن صلابتها: **"الابستمولوجيا هي اسمنت البحث العلمي"**[19]، إلى درجة أنه من الصعب الفضل بينها ومختلف التخصصات الأخرى لأنها ببساطة هي الأرضية المعرفية/الفكرية لأي تخصص علمي. إذ تعالج مواضيع متشابكة/متداخلة ومن قلب تخصصات أخرى، إذ تلتقي الإبستمولوجيا أساسا مع فلسفة العلم/العلوم، نظرية المعرفة،... لأن الهدف منها الوقوف عند شروط المعرفة وقيمتها وحدودها.

---

[17] - Denis HUISMAN : Tableau de la Philosophie contemporaire-Ed.Fischbacher-Paris 1967-P 557.

[18] -A. KREMER-MARIETTI :Le Positivisme- P.U.F- Paris 1er Ed-1982- P 12.

[19] – أحمد موسى بدوي، الابعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية. ص 77.

لكن، ليس من السهل رسم الحدود الفاصلة بين الإبستمولوجيا والتخصصات المجاورة، ذلك أن المشكل الأساسي الذي تُعاني منه الإبستمولوجيا هو أن تلك المجالات تكون موضعة أصلا بعيدا عن تلك الحدود.

1- الابستمولوجيا ونظرية المعرفة:

مبدئيا هي علاقة الجنس بالنوع، إذ تقتصر الإبستمولوجيا على النوع الوحيد من المعرفة الذي يتمثل في المعرفة العلمية، وينتج اللُبس مرة أخرى لما يخص بعض المؤلفين المعرفة العلمية فقط باسم المعرفة، في حين يعتبر كل ما بقي عبثا لفظيا ليس له من أهمية معرفية. مثل موقف الوضعيين الجدد، التجريبية/الخبرية المنطقية/الفيناويين، لا يُقر"كرناب" بأن نظرية المعرفة لها قيمة إلا بقدر ما تُختزل في الإبستمولوجيا. في المقابل، ليس من قبل المشكل العلمي أن نعلم ما إذا كان ثمة أم لا إمكانات للمعرفة خارج العلم. يرجع ذلك إلى نظرية عامة في المعرفة يكون أحد موضوعاتها بالذات تنزيل المعرفة العلمية ضمن أشكال اخرى من المعرفة قابلة للتصور.

إن التمييز النظري بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة صعب وبعيد عن الواقع، يذهب بياجي إلى أنهما مترادفاتان، ذلك أن العلم والروح العلمي سواء في تطور المجتمعات أو النمو الفردي، يتكونان بالتدريج، دون بلوغ حالة من الإكتمال.

عرفت موسوعة الفلسفة -1967- Encyclopedia of Philosophy الإبستمولوجيا دفعة واحدة كما يلي: "الإبستمولوجيا أو نظرية المعرفة، هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يهتم بطبيعة المعرفة وابعادها، وبمُفترضاتها وأسسها، وبالثقة التي تُمنح إياها". أما الموسوعة البريطانية Encyclopedia britanica طبعة 1961، على أنها: "ذلك الفرع من الفلسفة الذي يهتم بالمشكلات التابعة لطبيعة المعرفة والإعتقاد ولحدودها وصلاحيتهما". أما الموسوعة الإيطالية Encyclopedia italia بالإحالة للفظ Gnoséologie _ المزج بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا في لفظ واحد-. اما الموسوعة الكونية Encyclopedia universalis 1970 تبنت الطرف الأقصى المضاد برفض وجود كل علاقة بين الإبستمولوجيا والفلسفة[20].

2- الابستمولوجيا ونظرية المعرفة:

[20]- روبار بلانشي، الإبستمولوجيا، تر: محمود بن جماعة، تونس، المغرب، دار محمد علي للنشر، دار عيني بناني، ط1، 2004، ص ص 20-21.

هو الفرع الذي يقوم على نقد وتقييم وتطوير كافة العمليات العقلية اللازمة لإنجاز البحث العلمي- تبرير المشكلة ومقاربتها نظريا ومنهجيا، اكتشاف المعرفة وتبرير الاكتشاف- واستخدامها مباشرة في معالجة المسائل النظرية والمنهجية العمومية لأي علم من العلوم بهدف تحصيل معرفة جديدة حول مختلف الظواهر[21].

تهتم نظرية المعرفة بتحليل طبيعة المعرفة بالترميزات والمصطلحات مثل الحقيقة والإعتقاد والتحليل، كما تعتمد على دراسة وسائل انتاج المعرفة، لذلك أصبح البحث في نظرية المعرفة أو تعدد معانيها ومدلولاتها يتضمن الإشارة إلى عنصرين أساسيين هما: وجود الذات العارفة. وجود موضوع أو الشيئ المعروف وهو ما يتضمنه العالم الخارجي وبناءا على ذلك فنظرية المعرفة هي مصطلح مركب بين لفظين وهما: نظرية وهي تركيب عقلي مُؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ والمقدمات أو هي فرض علمي يربط عدة قوانين ببعضها البعض.

والثاني: المعرفة في التحليل الفلسفي هي ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك، ومعنى ذلك أن المعرفة عملية إدراك، فعندما يدخل الموضوع في علاقة معرفية يصبح معروفا أي مدركا، أو هي العلم الذي يبحث في المسائل المتصلة بطبيعة العلم الإنساني[22]، وعن إمكانية قيام المعرفة من عدمها فهناك اتجاهين للتحليل: الاتجاه الدوغمائي/الدوجماطيقي: يعتبر امكانية قيام المعرفة والقدرة على التوصل لليقين/الحقيقة. اتجاه الشك المنهجي السقراطي: قائم على التهكم، توليد الأفكار، وقد استخدم أرسطو ومدرسته المشائية الشك استخداما منهجيا[23]. تمييز مهم يجب الإشارة إليه، في حين أن نظرية المعرفة تتناول بالدراسة والبحث كل أنواع المعارف، إلا أن الإبستمولوجيا تهتم بنظرية المعرفة العلمية فقط، ويمكننا الوقوف عند ثلاث اتجاهات اساسية:

أولا: يستخدم الانجلو- أمريكيون اللفظين بنفس المعنى، فيعرفونهما: "بأنها ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي ينصرف على دراسة طبيعة المعرفة وحدودها".

ثانيا: هناك من الإبستملوجيون الفلاسفة يقربون بينهما، باعتبارهما علاقة الجنس بالنوع لأن الإبستمولوجيا تبحث في صورة خاصة من صور المعرفة وهي المعرفة العلمية، أي أن الإبستمولوجيا تركز فقط على شكل وحيد من أشكال المعرفة وهي المعرفة العلمية.

---

[21] – أحمد موسى بدوي، الابعاد الإجتماعية لانتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية. ص 81.

[22] – آمنة عبد السلام الزائدي، مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، العدد 3، (د.ت.ن)، ص ص 351، 352.

[23] – آمنة عبد السلام الزائدي، نفس المرجع السابق، ص ص 360، 361.

ثالثا: فلاسفة اتجاه الوضعية المنطقية، يرفضون وجود أي علاقة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، إذ لا يعترفون بأية نظرية في المعرفة لا تقوم بتحليل منطقي لقضايا العلم[24].

جاء في "الموسوعة البريطانية" لسنة 1961، وفي "موسوعة الفلسفة" 1967، بعدم الفصل والتمييز بينهما، كما ذهبت "الموسوعة الإيطالية" 1970، نفس الأتجاه.

وعليه، يمكن استنتاج أن الإبستمولوجيا تهتم بالدراسات العلمية وتحاول الإبتعاد والتخلص من البعد الفلسفي، أما نظرية المعرفة تهتم بدراسة كل أنواع المعارف والعلوم، العلمي وغير العلمي منها. أي هناك علاقة بين الجزء والكل، المعرفة هي الكل والإبستمولوجيا هي الجزء.

3- الابستمولوجيا وفلسفة العلم:

فلسفة العلم: هي الدراسة النقدية لما يجب أن يكون عليه العلم، وتهدف إلى تطوير المسائل النظرية والمنهجية داخل العلوم وفيما بينها، كما تهدف إلى تطوير رؤية فلسفية وأخلاقية متسقة عن دور العلم في الحضارة الإنسانية.[25] إن طبيعة العلم وما تثيره من مشكلات فلسفية تشكل موضوع فلسفة العلم. وهكذا تصبح الأفكار الداخلة في إطار فلسفة العلم فارغة من المعنى إن لم يتم ربطها الخبرة العلمية[26].

تهتم فلسفة العلم باتجاهات مختلفة، حددها روبرت بلانشي بأربعة اوجه:

1- دراسة علاقته بالعالم والمجتمع.
2- السعي لوضع العلم وطرح مجموعة القيم الإنسانية.
3- المحاولات الفكرية التي تنطلق من نتائج العلم وتجاوزها لبلوغ فلسفة الطبيعية.
4- التحليل المنطقي للغة العلمية. وهذه الدلالة الاخيرة هي ما تتفق مع ما يعنيه لفظ الابستمولوجيا[27].

---

[24]- مليكة جابر، اسهام الإبستمولوجيا في تعليمية علم الإجتماع، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان، 2012، ص ص 394، 395.

[25] – أحمد موسى بدوي، الابعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية. ص 81.

[26] – فلسفة العلم في القرن العشرين، ص 81.

[27] – روبار بلانشي، الإبستمولوجيا، مرجع سابق، ص 21.

من الصعب الكشف بدقة عن التمييز بينهما، لمرونة العبارة الأخيرة، فبالمعنى الواسع، تُصبح الإبستمولوجيا متضمنة فيها كواحد من فصولها أو أشكال ممارستها، فقد ميز كل من "فراقل" و"برودباك" في مجموعة قراءات في فلسفة العلم، أربعة أشكال مختلفة في التفلسف في العلم[28]: دراسة علاقاته بالعالم والمجتمع، السعي إلى تنزيل العلم ضمن مجموعة القيم الإنسانية، التنظيرات التي تعمم انطلاقا من نتائج العلم، ثم التحليل المنطقي للغة العلمية. والشكل الأخير هو ما تتفق فيه مع الإبسمولوجيا.

هناك من يتحاشى استخدام لفظة فلسفة العلم لأبعاد كل شبهة لعلاقة الإبستمولوجيا بالفلسفة، وفي عصرنا الحاضر، تنفلت الأبستمولوجيا أكثر فأكثر من الفلاسفة لتصبح في أيدي العلماء أنفسهم. لتبنوا المشاكل الإبستمولوجية عن أنفسهم، كما أن الأزمات الحديثة التي هزت مختلف العلوم، والثورات التي كان عليهم تمثلها اضطرت من يمارس هذه العلوم إلى إعادة النظر في مبادئها والتساؤل عن أسسها.

حسب برونشفيك، بأن تقدم العلم ليس دوما تدرجيا، بل يمكن أن يكون ارتداديا، حسب فراي، يميز بين التقدم الخطي والدائري للعلم، يشهد على هذا التقدم الدائري أو الإرتدادي النمو المعاصر للإبستمولوجيات التي يمكن أن توصف بالداخلية والجهوية: فهي داخلية لأنها مبنية من الداخل، من قبل العلماء المعينين، وهي جهوية لأن كل واحدة منها تُبنى لحاجات علم معين. ومنذ القرن العشرين انهمك علماء الرياضيات في اطالة النقائض وحل أزمة الأسس وفق المنطق الرياضي والفيزيائي.

وخلاصة التمييز بين الابستمولوجيا وفلسفة العلم، القول إنها تتميز بفرق الاتساع، بما أن الأبستمولوجيا جزء من فلسفة العلم، فهي بلا شك، اليوم، أقرب إلى العلم بروحها وبمناهجها، وإما أنها تمتد في منطقة وسطى بين العلم والفلسفة، فتتسع في جوانبها على حساب كليهما.

وكما سبق الاشارة اليه، هناك من يرفض بناء أي علاقة بينهما، "دعاة المعرفة العلمية فقط".أحد سمات الإبستمولوجيا المعاصرة هي انفلاتها من الفلسفة/الفلاسفة تدريجيا، ذلك نظرا لاهتمام العلماء المتخصصون بالمشكلات الإبستمولوجية، وهذا بالنظر لأزمات العلم المعاصرة، الثورات العلمية التي زعزعت مختلف العلوم، دفعتهم للإهتمام بإعادة النظر في مبادئ الإبستمولوجيا[29]. بما أن الابستمولوجيا هي أقرب للعلم

[28]- H.Freigl et M. BRODBECK, Reading of the philosophy of science, New York, Appleton Century Crofts, 1953, 3-7.

[29] – مليكة جابر، مرجع سابق، ص 396.

وأكثر ارتباطا بالعلم، يمكن اعتبارها جزء من فلسفة العلم، وهي تقع في الوسط بين العلم والفلسفة، والأقرب للعلم أكثر منه للفلسفة، لذلك يمكن اعتبار علاقتها بفلسفة العلم أصيلة جدا.

4- الابستمولوجيا وتاريخ العلم:

يبحث تاريخ العلم في تأسيس المعرفة العلمية، وتحديدا تاريخ العلم، وهو أمر جوهري بالنسبة للإبستمولوجيا، **تاريخ العلوم هو مخبر للإبستملوجيا** حسب كونغليم conguilhan. فمهمة تاريخ العلم الأساسية هي الكشف عن العلاقة بين الحقيقة والعلم عبر المراحل التاريخية المختلفة، ومن هذا العمل، تستمد الإبستمولوجيا عناصرها الأساسية لنقد المعرفة العلمية. كما يُنظر **للإستمولوجيا كنوع من انواع تاريخ العلم** لأنه يمكنها من الوقوف على أسس الفكر العلمي، تهتم مثلا تطور المفاهيم العلمية، التيارات العلمية، طرق التفكير العلمي، النظريات المعرفية.

5- الابستمولوجيا وعلم المناهج/الميتودولوجيا:

يجب النظر إليهما كمادتين متمايزتين ومترابطتين مجرد الترابط، أو على العكس، أو ندخل هذا في تلك كأحد عناصرها، إن معجم لالاند يفصل بينهما، "الابستمولوجيا ليست على وجه التحديد دراسة المناهج العلمية، التي هي موضوع علم المناهج وتشكل جزءا من المنطق، بينما هي اساسا الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها.

في بدايات القرن الماضي حوالي 1900، كان يُنظر لعلم المناهج أحد تفريعات المنطق، وقد تم تجاوز ذلك واستبعاد التقارب للبحث عن مدى التقارب مع الإبستمولوجيا، أنه لمن الصعب الإنهماك في دراسة نقدية لمبادئ العلوم على اختلافها، ولقيمتها وأهميتها الموضوعية –كما يضيف لالاند- دون التساؤل في ذات الوقت عن طبيعة الطرق وقيمتها، تلك الطرق التي بواسطتها تُبنى العلوم وتتوصل إلى معرفة لها قيمة موضوعية. ويلاحظ "بياجي" بحق أن "التفكير الابستمولوجي ينشأ دائما في ظل "ازمات" هذا العلم أو ذاك، وأن هذه "الأزمات" تنجم عن خلل في المناهج السابقة، فيُتغلب عليها بفضل ابتكار مناهج جديدة. وفي الواقع يصعب الفصل بين هذين النوعين من البحث[30].

[30] – روبار بلانشي، الإبستمولوجيا، مرجع سابق، ص 26.

اتيمولوجيا/اشتقاقيا هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Méthodos، Méthode والتي تعني الطريق المؤدي إلى، المنهج المؤدي إلى،...أي هي جملة العمليات والخطوات العقلية والعملية التي يتبعها العالم في بحثه من البداية إلى النهاية للوصول إلى النتائج المرجوة.

ومنه، تهتم الميتودولوجيا بدراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية، أما الابستمولوجيا فتهتم بالمستوى النقدي، بدراسة مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها ونتائجها الموضوعية. ويمكن للابستمولوجيا التوصل لقصور المناهج المستخدمة وتقترح مناهج جديدة للبحث.

6- الابستمولوجيا وعلوم الإنسان/سوسيولوجيا المعرفة:

إن علوم الإنسان، بما هي علوم، تقدم للإبستمولوجيا أحد موضوعاتها، فعلاقتها بهذه العلوم هي إذن مماثلة مبدئيا للعلاقة التي تُعنى بها مع العلوم الرياضية أو العلوم الطبيعية، إذ تتنزل الإبستمولوجيا بالنسبة إليها في مستوى أعلى بحيث تشرف عليها بدرجة أكثر او أقل.. فبقدر ما يتولد التفكير الإبستمولوجي مباشرة من عوائق العمل العلمي. يظل أيضا قريبا جدا من هذا العمل بما فيه من خصوصية: وبناء عليه، تصطبغ الإبستمولوجيا الداخلية للرياضيات بالغ الإصطباغ بروح الرياضيات ومناهجها، وتبدو غريبة تماما عن علوم الإنسان.. مثلما يختلف "ما بعد علم" ما عن العلم الذي يتناوله بالدراسة، وفيما يتخذ التفكير reflexion مسافة من موضوعه ويشمل مجموعا أكثر اتساعا، يتخلص شيئا فشيئا ممن كان يملكه هذا الأخير من

خصوصية. فالإبستمولوجيا العامة، تلك التي تتعلق بكامل العلوم، لا تنتمي إلى علوم الإنسان إذا، فيما يبدو، أكثر من عدم انتمائها إلى الرياضة أو إلى الفيزياء[31].

يمكن تتبع إتجاهات ترفض/تقبل بناء أية علاقة بين الإبستمولوجيا والعلوم الاجتماعية، علم النفس، علم الإجتماع. والملاحظ أنه مع تطور العلوم وتخصصها، نتجه أكثر نحو قبول امتزاج الإبستمولوجيا بالتخصصات الأخرى، فظهرت الإبستمولوجيا الإجتماعية مثلا، ذلك أن المجتمع له أدوار ويساهم في عمليات تشكل المعرفة.

ثانيا: الاتجاهات الفكرية المفسرة لتطور العلم.

الوضعية[32]:

[31] – روبار بلانشي، الإبستمولوجيا، مرجع سابق، ص 28.

[32] –الإمبريقية: هي المذهب المعرفي الذي يرى أصل المعرفة هو التجربة، لذا يطلق أحيانا "المذهب التجريبي"، يرتكز على مقولات أساسية: الإنسان لا يمكنه ان يعرف إلا الأشياء التي هي نتيجة مباشرة للمشاهدة والملاحظة والتجربة. يترتب على هذا أن المعرفة القبلية غير موجودة أصلا وانها تكون مقصورة على الحقائق التحليلية التي لا تعتمد على مصداقيتها إلا على معاني الكلمات المستخدمة في التعبير عنها. وقد نجم عن ذلك، ظهور نظرية في العلوم الطبيعية مؤداها أن العالم يتكون من مجموعة متشابكة من الأشياء وأن ما يربط هذه الأشياء بعضها ببعض ليس علاقات سببية حتمية، وإنما علاقات نظامية ترتيبية لا ترجع إلى أي سبب فوقي يملك مقدرات الأمور في هذا العالم ويغيرها إذا أراد ومتى أراد.

عارض كلود برنار (1816-1878) في كتابه "مقدمة في دراسة الطب التجريبي": "كل بحث علمي غير وضعي، ويقدم للمنهج التجريبي وصفا صار كلاسيكيا، وهذا الأسلوب وجد أيضا عند الفيزيائيين.. وبهذه الصورة (ماخ)، هو الآخر يقدم نظرية في المعرفة مستوحاة من الوضعية"[33]. لأنه يرى أن العلم لا يعرف الأسباب الكامنة في ذاتها، ولكن فقط العلاقات الوظيفية التي تربط الظواهر، والتي يعبر عنها في قوانين، وعلى ضوء هذه الطريقة يمكن دراسة الظواهر الذاتية أيضا.

إن العالم النمساوي أرنست ماخ (1838-1916) يدعو إلى استبعاد الميتافزيقا من المعرفة العلمية، لأنها تقضي على موضوعيتها، وبالتالي يجب دراسة الظواهر المحسوسة كما تبدو في واقع الخبرة، لأن العالم "يسأل سؤاله الأول للطبيعة مع واقع خلفية معينة يعيها جدا، وحين يتوصل للإجابة على سؤاله، فإن عليه أن يضع معرفته أمام الأجيال اللاحقة، حتى لا تنتهي المعرفة بانتهاء العالم. وهذا يعني أن خاصية الإتصال من أدق خصائص المعرفة العلمية"[34]. وعلى هذا الأساس، تصبح عملية تكرار الوقائع وسيلة للبحث عن التشابه القائم بين عناصر الخبرة التي لم تندرج بعد في نفس علمي مؤلف من قوانين، لأن القانون عند ماخ يظل فرضا حتى يعرض على التجربة، بإعتبارها المعيار الدقيق لقبوله أو عدم قبوله. وبذلك تبدو كل نظرية غير مؤهلة لتفسير الخبرة، لأنها، "أداة مؤقتة وقابلة للإعتراف بتفسيرات الظواهر".

كما نجد العالم الفرنسي هنري بوانكري (1854-1912) يرفض أن نصف النظرية الفيزيائية القائمة على المفاهيم الرياضية، بأنها معرفة يقينية، لأن مبادئ الرياضيات والفيزياء ليست بالخاطئة، وليست بالصحيحة. إنها اصطلاحات تقبلها لأنها ملائمة"[35].وهذا الموقف النفعي نلمحه من خلال تطور الهندسة الإقليدية إلى الهندسة اللاإقليدية. لقد قام نسق اقليدس (330-270 ق.م) الهندسي على أساس أن الأرض دائرية، والدائرة هي أتم الأشكال الهندسية، وبناء على ذلك حدد ثلاث مجموعات أساسية ينطلق منها البرهان الهندسي، وهي: "البديهيات والتعريفات والمسلمات، وهذه المجموعات تقبلها بدون برهان، ونسلم بها تسليما، لأنها أبسط الأشياء وأوضحها للعقل الرياضي، ولا يمكن التوصل إلى ما هو أبسط منها"[36]، مثل: الكل أكبر من الجزء، والمستقيمات المتوازية هي مستقيمات على سطح واحد بعينه بحيث أنها لا تتقابل إذا مدت من الجانبين، ويمكن رسم مستقيم واحد بين نقطتين.

وقد ساد هذا التصور الهندسي في حدود نهاية القرن التاسع عشر، لأن العلماء كانوا يعتقدون أنه جاء كتجريد للواقع الفيزيائي باعتبار أن المقدمات الإقليدية الثلاث "مطابقة للواقع ومعبرة عنه، أعني تعتبر في

---

[33] - D. HUISMAN- op.cit P 557.

[34] – ماهر عبد القادر، مشكلات الفلسفة، بيروت، دار النهضة المصرية، 1985، د. ط، ص ص 197-198.

[35] - D.HUISMAN- op.cit P 558.

[36] – ماهر عبد القادر، مرجع سابق، ص 160.

ذاتها أنها حقيقة، فالحقيقة هي في المطابقة التامة مع الخارج أو العالم الخارجي"[37]، سيفتح مجالات معرفية جديدة في العقد الثاني من القرن التاسع عشر بظهور الهندسات اللاإقليدية، لأنه بمجرد تغيير المصادرة الإقليدية الخاصة بشكل الأرض، تغيرت القضايا المستنبطة هي الأخرى.

إن زوايا المثلث لم تصبح (180درجة) كما افترض اقليدس، وإنما أقل من نسق العالمين المجري يانوس بولياي، والروسي لوباتشفسكي، لأنهما افترضا أن شكل الأرض مقعر، وليس مسطحا، وهي أكثر في نسق العالم الألماني ريمان، لأن شكل الأرض صار عنده محدبا، وبذلك أدت هذه الهندسات إلى انهيار اليقين المطلق، وأجبرت علماء الرياضيات والفلاسفة على التفكير في طبيعة البديهيات، فأدى ذلك إلى اكتشاف المنهج الكسيومائي، ونظرية المجموعات، ودفعت مفارقات هذه الأزمة إلى تحديد شروط وجود الكائن الرياضي[38].

حسب ألبرت أنشتين (1879-1955) "بين العالم الواقعي المألوف لدينا والذي ندركه عن طريق الحواس وبين عالم النظريات التي يكونها من أجل فهم العالم المحسوس"[39]، واستطاع بذلك أن ينتزع الثقة من الفيزياء النيوتنية إلى درجة أن هذا الإنقلاب، لم يشمل فقط طرائق التفكير السائدة، وإنما أيضا كل نظرية علمية لاحقة، إذ يقول هوايتهيد في هذا الصدد: ".. ولما حل عام 1900 انهارت طبيعيات نيوتن، وانتهى امرها، وأنني أتحدث عن نفسي حينما أقول أن ذلك كان له أثر عميق في نفسي. لقد خدعت مرة، ولعنة الله علي ولو خدعت مرة أخرى. المفروض أن أنشتين قد كشف كشفا علميا، ولكن ليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن نسبة انشتين أكثر نهائية "من مبادئ نيوتن"[40].

لقد أنجز نيوتن (1642-1727) في العصر الحديث "النصر النهائي والكامل، الذي شق له الطريق كوبرنيكوس، وكبلر، وجاليليو.. لقد كان النصر كاملا إلى حد ينذر بالخطر من أن يغدو نيوتن أرسطو آخر، يفرض على التقدم حاجزا لا يمكن تخطيه"[41]، بهذه الصورة كان أعظم شخصية تبرز في القرن الثامن عشر، لأن اكتشافاته: قوة الجاذبية، وحساب التفاضل والتكامل، وتفسير الظواهر الضوئية، جعلته يحقق "الفيزياء الكلاسيكية وحدتها في إطار تصور عام للكون منسجم ومتكامل"[42] كما يتجلى ذلك من خلال كتابه "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية" الذي استعرض فيه الأسس التي بنى عليها علم الميكانيك وهي:

---

[37] – ماهر عبد القادر، نفس المرجع السابق، 162.

[38] – صايم عبد الحكيم، أزمة العلوم في الخطاب الإبستمولوجي المعاصر، أوراق فلسفية، العدد 35، 2013/2012، ص 80

[39] – ماهر عبد القادر، مشكلات الفلسفة، بيروت، دار النهضة المصرية، 1985، د. ط، ص ص 134-135.

[40] – علي عبد المعطي، مقدمات في الفلسفة، بيروت، دار النهضة المصرية، 1985، ص ص 197-198.

[41]– برتراند راسل، مشاكل الفلسفة، تر: محمد عماد الدين اسماعيل، عطية محمود هنا، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1974، ص ص 70-71.

[42] – محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982، ص 45.

1- يبقى الجسم ساكنا، أو يستمر في حركته على خط مستقيم وبسرعة ثابتة، ما لم يكن خاضعا لتأثير قوة خارجية.
2- إذا تغايرت حركة جسم ما، فعن هذا التغير يكون مناسبا تناسبا طرديا مع القوة الخارجية، وتناسبا عكسيا مع كتلة الجسم، ويتم هذا التغير في اتجاه تلك القوة.
3- كل فعل يقبله رد فعل مساو له ومتجه في عكس اتجاه الفعل[43].

ان هذه القوانين مكنت العلم من السيادة في جميع المجالات، لأنه بدا بإمكانه أن يفسر كل الظواهر باختلاف أنواعها، لكن يُثار السؤال التالي: هل تلك القوانين تظل ثابتة، إذا ما انتقلنا من مكان إلى آخر على افتراض أن أحد المكانين يتحرك بالنسبة للآخر، وبعبارة أخرى، هل يمكن صياغة قوانين الطبيعة بحيث لا تتغير بتغير المكان الذي تصاغ فيه؟ ظهرت علامات الثورة العلمية الجديدة[44].

الوضعية في العلوم السياسية:

في القرن الرابع عشر والخامس عشر كانت المعرفة تبنى على أساس لاهوتي، ميتافيزيقي، حيث كان رجل الدين في أوروبا، يدعي أن الله يخبره بوسائل الوصول إلى المعرفة، مثل أن نقول أسباب نزول المطر بالمرجعية الميتافيزيقيية عند رجل الدين الأوروبي آنذاك يتم تفسيرها على أنها تعبير عن رضا الرب أو سخطه، لكن يبدو أن شغف العلماء بوضع حد لتلك القرون من الظلام العلمي، فكروا في تغيير المرجعية العلمية اللاهوتية الميتافيزيقية (الذاتية) في الوصول إلى المعرفة إلى مرجعية يضعونها كعلماء (ومنه جاءت كلمة وضعية أي وضع البشر العلماء وليس السماء) بشكل موضوعي، أي البحث عن الأسباب الحقيقية الموضوعية الخالية من الذاتية في تفسير الظواهر الطبيعية. هذا المنطلق الفلسفي العلمي جعل العلماء ينخرطون في هذا المنحى الوضعي الجديد، وتأسيس العلوم الوضعية القائمة على قواعد ونظريات يضعها العلماء البشر بشكل موضوعي وليس بالاعتماد على نظريات لاهوتية ظلامية[45].

---

[43] – محمد عابد الجابري، نفس المرجع السابق، ص 47.

[44]– صايم عبد الحكيم، أزمة العلوم في الخطاب الإبستمولوجي المعاصر، أوراق فلسفية، العدد 35، 2013/2012، ص 81

[45] – **جماعة فيينا:** تتكون من مجموعة من فلاسفة العلم، وقد أثرت أكبر الأثر في القرن العشرين. التقت خلال اثني عشر سنة فقط، من 1922-1934 حول زعيمهم "مورتش شليك' Mortiz Schlick، الذي قُتل على يد طالب نازي، ومن ثم انفرط عقد الجماعة وغادر أفرادها مدينة فيينا[45]. ان المؤثرات العلمية لهذه الجماعة كانت لها أهمية بالغة، ففي خلال الفترة من 1900 حتى 1930 حدثت ثورة هائلة في مجال علم الفيزياء، إذ أثارت تلك الثورة شكوكا حول آراء نيوتن في الميكانيكا والتي كانت تلقى قبولا طوال قرنين من الزمان تقريبا، وتمخض عن ذلك الثورة ميلاد نظريات جديدة في النسبية وميككانيكا الكوانتوم.

لكن يبدو أن علماء السياسة انتظروا إلى غاية القرن العشرين، وفي محاولة منهم لانتزاع الاعتراف بعلمية علم السياسة، حاولوا استنساخ المرجعية الوضعية في العلوم الطبيعية نحو علم السياسة، ونقلو تلك الافتراضات التي تقول:

- الظاهرة محل دراسة تتميز بالثبات ويمكن دراستها بأدوات بحث علمية.

- يمكن توظيف نظريات وأدوات بحث علمي تتميز بقدرة تفسير مثل ما هو في العلوم الطبيعية بل يمكن حتى الوصول إلى نتائج دقيقة.

- مثل العلوم الطبيعية، هناك أسباب تؤدي إلى نتائج، وبالتالي يمكن الاستعانة بالتجريب على الظواهر السياسية.

الوضعية في علم السياسة عرفت تيارين أساسيين، 1/ الوضعية النوعية 2/ الوضعية الكمية التجريبية.

1- الوضعية النوعية qualitative positivisme، تمثل التيار الأول الذي انخرط في أبحاث علم السياسة، مثل المدرسة القانونية والنظرية المثالية، الواقعية الكلاسيكية، يعتقد هذا التيار أن علم السياسة علم وصفي ملاحظاتي observational، لذلك جاءت كتاباتهم ومؤلفاتهم دراسات قانونية، وصفية، تتعامل مع ما هو كائن وإعطاء قراءة للوضع القائم.

2-الوضعية الكمية التجريبية (quantative postivism experimentalist)، جاء هذا التيار كانتقاد للتيار النوعي، حيث يجادل أن أبحاث علم السياسة في التيار الوصفي جاءت غير دقيقة النتائج وكانت وصفية سردية، غلب عليها طابع قانوني. ويجادلون بأن علم السياسة بحاجة إلى شحنة علمية، تتمثل في تطبيق المناهج التجريبية، حقيقة لم يكن التيار التجريبي متطرف إلى ذلك الحد من التجريب المحض، لكنه حاول تكييف التجريب على الظواهر الاجتماعية. يمثل هذا التيار بشكل بارز المدرسة السلوكية، وإلى حد ما الواقعية الكلاسيكية، فقد إنخرط عدد مهم من علماء الواقعية الكلاسيكية في النهج التجريبي الكمي.

ومنذ السنوات الأولى من مطلع القرن العشرين، انطلقت تلك الثورة من تطور" نظرية النسبية الخاصة" the special theory of relativity. على يد كل من "هندريك لورنتز" Hendreik Lorentz، و"هنري بوانكاريه" Henri Poincare، وألبرت أنشتين"، وأيضا مع الخطوات الأولى التي خطتها نظرية الكوانتم على يد "ماكس بلانك" و"ألبرت انشتين". وكان التأكيد والتأييد اللذين لاقتهما نظرية أنشتين الجديدة في الجاذبية من خلال تجربة ظاهرة كسوف الشمس عام 1919 حدثا بارزا، والجدير بالتنويه، إنه خلال فترة العشرينيات، قدم "فيرنر هايزنبرج" werner Heisenberg، و"أيرفن شرودنجر Erwin Schrodinger وباول ديراك Paul Dirac ميكانيكا الكوانتم الجديدة عندما كانت جماعة فيينا ما زالت تتشكل، وكان تصورها العلمي للعالم في حالة تطور[45].

لذلك عرفت تلك الفترة تغير في بنية السوق العلمية، من خلال غلبة المؤلفات، الكتب، والأبحاث الكمية، التجريبية.

3– ما بعد الوضعية في العلوم السياسية **post**-positivisme in political science

واصل التيار الوضعي هيمنته على حقل علم السياسة إلى غاية نهاية الثمانينات، وقد خلف كم كبير من الكتب، المقالات، المؤلفات، مجلات، أبحاث... التي تتبنى منطق وضعي في التحليل. إن هذا التراكم المعرفي الوضعي أعطى إنطباعا بصلاحية (الأصلح) هذا التيار في علم السياسة.

لكن مع نهاية الثمانينات مجموعة من العلماء بدو أكثر تشكيكا في صلاحية الفلسفة الوضعية العلمية في علم السياسة، وطرحوا التساؤل: هل هناك إنفصال بين الفاعل والبنية؟ هل يؤدي الخطاب أدوارا تشكيلية في البنية؟ هل استطاع علم السياسة أن يكتسب هوية علمية؟

إن هذه الأسئلة أحدثت إنفصالا تاما بين الوضعيين وما بعد الوضعيين، لقد أصبحنا أمام نظريات في علم السياسة تتحدث لغة مختلفة تماما، تفتقد لأرضية حوار محايدة لتحكيم النقاش بينهما. إنه نوع من الشرخ الابستيمولوجي والأنطولوجي.

ما المقصود بما بعد الوضعية؟:

المقصود بما بعد الوضعية نظرة فلسفية للعلم تعتقد بأن العلوم الاجتماعية هي حقل خاص متميز عن العلوم الطبيعية. يعتقد هذا التيار أن الظواهر الإجتماعية هي غيرها في العلوم الطبيعية، يجادلون بأن الظواهر الإجتماعية هي ظواهر تشكلية يشكلها الفاعل الإنسان (المتغير) وهو يتفاعل مع الظاهرة – البنية — وهي متغيرة بشكل مستمر حسب عناصر الخطاب السائد، إذا قلنا بنية فوضوية هذا يعني أن الخطاب السائد يحمل لغة تكرس الفوضى، وإذا قلنا بنية تعاونية هذا يشير إلى خطاب تعاوني.

إنخرطت كل من مدرسة باريس (ميشال فوكو، جاك دريدا...) والمدرسة البريطانية (نيكولا أونوف، ألكسندر وندت، مارثا فاينمور ..) وآخرون في الدفاع عن نظرياتهم في علم السياسة.

ثالثا: الاتجاهات الفكرية المفسرة لتطور العلم.

يبحث هذا المحور في نقطة مفصلية هي تتبع مسارات تطور العلم ضمن إطار المسارات الكبرى للتحولات المعرفية، لكل من الإبستمولوجيين، أو الأفكار الإبستمولوجية لكل من كارل بوبر، توماس كوهن، أمبري لكاتوس، باول فيرابند، غاستون بشلار، ادغار موران، هانس ريشنباخ، للكشف عن مختلف الأفكار، الكتابات، النماذج والصياغات العلمية المقترحة ضمن سياقاتها التاريخية، المعرفية العلمية للتمكن من تكوين منظومة معرفية متكاملة حول تقدم العلم، تاريخ العلم، اللاعلم، داخل النزعة الوضعية المنطقية وما بعد الوضعية.

1- كارل بوبر[46] Karl Raimund Popper (1902-1994): نسبية الحقيقة العلمية

في كتابه منطق الكشف العلمي 1935 تناول فيه المعرفة العلمية بطريقة نقدية، والمجتمع المفتوح وأعدائه 1945 "وينشد برنامج البحث لدى بوبر أن يصف هذا النماء الموضوعي للعلم. وينشد برنامج كوهن، على ما يبدو، أن يصف تغير الفكر العلمي "السوي"، على مستوى الفرد أو المستوى المتحد"[47]. وقد جاءت أفكاره كإسهام فلسفي جدير بالتنويه بداية الثلاثينيات من القرن الماضي.

كان النقد لب وجوهر أفكار هذا الفيلسوف النمساوي اذ اعتبر التفكير الفلسفي هو مناقشة المعرفة العلمية واشتهر بمعالجته أكبر وأهم اشكالية وهي الاستقراء الناقص ومدى مشروعية النتائج التي تنتج عنه. "بدأ بوبر بأن يكون نصير المذهب التفنيدي الدوغمائي في العشرينيات من القرن العشرين، ولكنه تبين على نحو سريع أن هذا الموقف كان غير ذي سند ولم ينشر شيئا قبل أن يبتكر ذلك المنهج. وكان المقصود فكرة جديدة كل الجدة في فلسفة العلوم ولدى بوبر أنما نصادفها للمرة الأولى: انه اقترح هذه الفكرة ليحل صعوبات المذهب التفنيدي الدوغمائي". حيث انتقد النزعة الاستقرائية واشتهر بمبدأ أو نظرية القابلية للتكذيب كأساس جديد لتطور المعارف، وقد عاصر ظهور أطروحات راجت في الفلسفة في ألمانيا والنمسا وسلم بالعقلانية النقدية والجدل والفلسفة المفتوحة. وهو يرى أن التغير في المعارف العلمية أمر عقلاني أو ربما يمكن بناؤه بناء جديدا على الأقل وهذا من صميم منطق الكشف العلمي. رأى أن هناك سمات معينة

---

[46] – باحث في فلسفة العلوم، نمساوي، درس الرياضيات والفيزياء والفلسفة في فيينا وصار أستاذا للمنطق في جامعة لندن سنة 1945، ومن أهم كتبه "منطق الإكتشاف العلمي سنة 1935"، "المجتمع المفتوح وأعدائه 1945، و"فقر التاريخية" سنة 1957.

[47] – لاكاوس، إيمر، تاريخ العلوم ومنهجيتها، برامج البحث والبناء العقلاني الجديد، دراسات فكرية، تر: وجيه أسعد، دمشق: منشورات الهيئة السورية للكتاب، 2011، ص ص 216-217.

توجد في النظرية حتى تكون علمية وفي مقدمتها أن تخضع للإختبار "وتقوم شهرة بوبر على تعريفه للعبارة العلمية بأنها العبارة التي يمكن اخضاعها باستمرار لمعيار الدحض"[48]. رفض المشاهدة والتجربة معيار التحقق من صحة المعرفة العلمية وبخلاف ذلك أننا نخمن ولكن لا نصل إلى الحقيقة المطلقة.

لقد كان وراء مؤلفه المعروف "منطق الكشف العلمي" تطور في مجال فلسفة العلم" وقد أدرك بوبر أنه لا توجد نظرية يمكن أن نقول عنها أنها الحقيقة النهائية التي تفسر كل شيء، فكل ما يمكن أن نقوله أن الملاحظات التي نجردها تؤيد النظرية وأنها تعطي تنبؤات درجة دقتها مرتفعة". ونجده قد سار على منوال باشلار في القول بمحدودية الحقائق في العلوم ورفض مبدأ الإطلاقية. ففي بداية القرن الماضي، صارت قوانين الميكانيكا غير مرضية مثلا، ومنه قوانين العلم لا تتمتع باستقرار كامل ومنها ما يتم إسقاطه، وقد لا تفند تجربة واحدة نظرية علمية ما. لقد أكد أن كل ما نعرفه معرفة يقينية هو مجرد اقترابات من الحقيقة، بناء على منهج استعادة الفلسفة الإغريقية قبل السقراطية الذي افتتحته الوجودية منذ نيتشه.

كما ذهب اليه سبونفيل أن الحقيقة في العلم عرضة للطعن وبالتالي فإن نتائج العلوم لابد أن تتعدل وتتبدل في المستقبل "لا يمكن لأي علم تجريبي أن يبرهن حقيقة نظرية ما أيا كانت (ربما أن أي استقراء لا يكون سليما منطقيا: عشرة آلاف واقعة لا تستطيع ضمان حقيقة قانون شاملة)، ولكنها جميعها يمكن البرهنة على خطأها (تكفي واقعة واحدة)، هكذا تتطور العلوم – بنوع من انتخاب النظريات الثقافي."[49].

الحقيقة العلمية ليست جازمة ولا نهائية بل مؤقتة محكومة بظروفها الفكرية ودقة الوسائل المعتمد عليها في الملاحظة والتجريب، "ان الإعتقاد في اليقين العلمي، والسلطة المطلقة للعلم وهم، فالعقل قابل للخطأ، لأنه انساني"[50]. أي أن الإختبار لا يمكن اعتباره قطعيا وقد نعيد بلورته في ظل المعطيات التي تستجد على الساحة العلمية. وذلك من منطلق أن الإستقراء هو مجرد خرافة حيث الاطراد الذي نسعى إلى فرضه على الظواهر مسألة قبلية ناتجة عن رؤية ارتباط الحوادث ببعضها ويقوم بنفي كل ما هو راسخ ويدحض كل اعتقاد مخالف لمبدأ التكذيب وأنه لابد من منهج يعكس فعلا ما يحدث في العلم.

---

[48]– الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، أ. ض، ص ص 324-325

[49] – سبونفيل، أندريه كونت، طريق المعرفة الفلسفية، ص 24.

[50] – بوبر، كارل، الوقائع، المعايير والحقيقة، تتمة لنقد النسبية 1961، تر: عاكف العربي، مدارات فلسفية، مجلة الجمعية الفلسفية المغربية، العدد 18، ص 97

برزت في حقل المعرفة العلمية مفاهيم وتصورات لم تكن سائدة من قبل "إن هذه الأسس، تجاوزت فلسفة العلوم مبادئ القصدية، والسببية واليقينية، إلى اللاقصد، واللاحتمالية والعشوائية، والنسبية في زمننا هذا"[51]. وأيضا للاقانون واللاتنبأ وغيرهما وكان لكل ذلك وقعا على تفكير فيلسوفنا.

وهذا رأي يجمع عليه فلاسفة هذا العصر: "ورغم أن ذلك صحيح، فإن ما يجب ايضاحه، حسب وجهة النظر هذه، هو أن الاستقراء يبقى منطقيا عملية غير يقينية أو مأمونة، فهو، وعلى خلاف الاستدلال في تطبيقه الصحيح، لا يستطيع أن يقود إلى حقيقة يقينية تماما". فبفعل النقد نرى أن العديد من الأفكار طرأ عليها التغير. لقد شهد القرن العشرين ظهور نظريات فيزيائية جديدة قدمت الحقائق على نحو أفضل، نظريات على غرار النسبية وميكانيكا الكم تقبل كونها نظريات علمية. اشتهر بوبر بموقفه من الاستقراء، ان القياس لم يثر التساؤل حول يقينيته حيث تكون النتيجة لازمة بالضرورة عن المقدمات المستنبطة منها اما الاستقراء الناقص فقد اثير التساؤل حول مدى مشروعية ذلك التعميم الذي ينطوي عليه وبالتالي مدى مصداقية النتائج التي نكتسبها.

"ولئن كان كارل بوبر على حق، بعد آخرين، في التشديد على أن نظرية ما لا يمكنها أن تعتبر علمية ما لم تعرض نفسها لمخاطرة أن يدحظها امتحان تجريبي خاص يستنبط من مقدماتها". لكن ليس هناك ما يمنع ظهور ما يطوي أسسها في المستقبل إذا ما أثبت البحث عكس ما تفيده. الأمثلة السالبة حسب بوبر تفند أية نظرية موجودة وقائمة. مما يجعل المعارف مفتوحة باستمرار وفي نمو دائم مطرد بعيدا عن الركود. النظرية القائمة لابد وأن تكون مفسرة لأكبر قدر من الحوادث حتى يأخذها العلم بعين الإعتبار أي تكون عامة وحاصلة على مبررات تأييدها.

يعتبر بوبر كل حقيقة مجرد معرفة: "تعتبر فكرة تقدم المعرفة، فكرة الاقتراب أكثر فأكثر من الحقيقة، فكرة رئيسية.. إن قضية ما تكون أكثر اقترابا من الحقيقة من قضية أخرى، إذا تطابقت أكثر من الوقائع"[52]. فالنظريات تختبر وترفض أو تقبل مؤقتا عن طريق التطبيقات الإمبريقية، فقد اعتبر أن علو درجة قابلية النظريات العلمية للإبطال هو معيار الإختيار بينها.

---

[51] – علي حسن الجابري، فلسفة العلوم دروس في الأسس النظرية وآفاق، ص 28.

[52] – بوبر، كارل، الوقائع، المعايير والحقيقة تتمة لنقد النسبية، (1961)، ص 98.

حسب بوبر: "هكذا لا نكون على يقين علميا إلا من الأخطاء التي أبطلناها. وهذا يمنع اقامة نظرية علمية مهما كانت مطلقة دون المرور بالشك في التقدم العلمي نفسه". فيجب التحلي بروح التشكيك وعدم الوثوق بالقوانين، فما سيحدث في المستقبل قد يكون مخالفا مغايرا لما هو موجود من نظريات علمية ويبقى العقل متفتحا على تقبل واستيعاب ما يتعارض مع ما الفناه وأخذنا به. لذا، لا يجب وضع حدود للعلم لا تسمح له بالتطور خارجها ولا يصح تجميده في قوالب نهائية وقد أثبت الزمن ذلك.

"حاصل القول أن النظريات العلمية لا تكون صادقة، حسب كارل بوبر، إلا إذا تمكنا من تحديد موطن خطئها، أن كل نظرية لابد وأن تتضمن جانبا من الخطأ". وهذا يصب في مصب النظرية النسبية ويتعارض مع القول بالمعرفة القطعية حيث كل نظرية قد تنفي الأخرى وتستبعدها، وبهذا فمبدأ القابلية للإبطال يعتبر مسألة نسبية أيضا. نفس الأمر حدث عندما نفت الأنشتاينية العلم النيوتني الفيزيائي المطلق وكانت هناك انطلاقة معرفية جديدة. "وهذه الاعتبارات تقترح علينا أنه ليست قابلية التحقيق وإنما قابلية تكذيب النسق هي ما يمكن أن نأخذه كمعيار للتمييز"[53]. إذ طرح بوبر هذا البديل المعرفي داعيا من خلاله إلى منهج جديد يقابل التحقق.

"لا يوجد حقيقة علمية. يوجد أفكار علمية جزئية دائما، نسبية، مؤقتة. بيد أن هذا يقوي العلوم ولا يضعفها. إنها لا تترقى من يقين إلى يقين كما كان يريدها ديكارت، ولكن بالتعمق والشطب كما يقول كافالس، بالطعن والإبطال كما يقول بوبر، ولا تترقى إلا للأحسن. هذا الذي يمنعنا من ادعاء المطلق". فينبغي أن نقبل من منظوره النظرية العلمية التي لا تقلل القابلية للدحض ويمكن القول ليس هناك صدق نهائي ولا خطأ نهائي ولذلك يستبدل الصدق بالإحتمالية.

فهو ينتقد القول بيقينية ووضوح القضايا التي تتأسس عليها الأنساق مثل هندسة اليوناني اقليدس" ويعارض فكرة البداهة لأنه من أنصار النظرية النسبية، علما أن الرياضيات الإقليدية اعتبرت سابقا مطلقة ووحيدة لا يمكن انشاء غيرها إلى أن ظهر العكس بنشوء أنساق هندسية لا اقليدية.

أما عن موقفه بخصوص القابلية للإختبار واصراره على اتخاذ قاعدة التكذيب معيارا للخاصية الإمبريقية أو التجريبية" ومن ثم سنركز على الاهتمام الجاد بتكذيب التجربة، وسوف نصفق لها كنجاح لأنها فتحت

[53] – بوبر، كارل، منطق الكشف العلمي، تر وتقديم، ماهر عبد القادر محمد، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، د ت.ن، ص 77.

أمامنا آفاقا جديدة في عالم من الخبرات الجديدة". ويكون ذلك ضد جمود أو ثبات النظريات ويعطي للعلم حركية وتجدد، ويمكن القول أن بوبر لا يعتبر التعميم ضامنا لصحة العمليات الاستقرائية والذي يراه العلماء أداة تفضي إلى بناء المعرفة العلمية مبررين ذلك باعتمادهم على مبادئ تعطي مشروعية ويقينية نتائجه.

"إن الأسس الامبريقية للعلم الموضوعي ليس لها شيئ مطلق فيه" ولا تصب في قنوات محددة وهذا كلام صريح عن النسبية ويرى أن لا أرض ثابتة للعلم وأنه يرتبط بالظرفية أي النظريات المؤقتتة، كما أن بوبر يقر بفضل انشتاين وصحة ما جاء به حول الطبيعة المحدودة للمعرفة العلمية. فازدياد قيمة النظرية العلمية ومحتواها المعرفي يقترن بازدياد القابلية للتكذيب. ينظر الى الخبرة من زاوية أهميتها في المنهج العلمي حيث تساعد في تطبيق مبدأ التكذيب على الظواهر. وهذا الاتجاه الذي يمثله بوبر سيؤثر لاحقا ويظهر ذلك من خلال كتابات كون وفيرابند ولاكاتوش وغيرهم من المفكرين والفلاسفة، المعرفة تحدث دائما من خلال التصحيح، هي دائما مؤقتة"[54].

اهم الانتقادات الموجهة اليه من فلاسفة العلوم الذين يمثلون الاتجاه السائد الآن، يرفضون رأي بوبر عن مبدأ التكذيب، والذي يضعه في مقابل مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية، ويجدون أن التكذيب مستحيل منطقيا، كما أن التحقق مستحيل أيضا".

لفيلسوف العلم المعاصر نظرية لتأسيس القضايا العلمية كرد فعل على تيار الوضعية المنطقية برفض التعويل على الدليل الإستقرائي في بناء هذه القضايا. إذ وضع بوبر منهجاً عدّه ليس من الدليل الإستقرائي بشيء، وأطلق عليه المذهب الإستنباطي، وذلك ليتخلص من الشبهة الهيومية في الدور والارتداد اللانهائي كما تقتضيه العملية الإستقرائية بوصفها عادة نفسية تقوم على التشابه المستند بدوره إلى الإستقراء، وهكذا، معتبراً أن ما سلكته الوضعية المنطقية من جعل الارتباط قائماً بين الإستقراء والإحتمال لا يغير من النتيجة شيئاً حيث الوقوع في الارتداد اللانهائي[55]. الأمر الذي جعله يغير هذا المنحى بمنهج جديد لا يمت إلى العملية الإستقرائية.

54 - Auroux, Sylvain, Les notions philosophiques Dictionnaire Tome 2, Presse Universitaire de France, Paris, 1990, P 2323.

55 – كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية، ص ص 66-67. في:
http://www.philosophyofsci.com/index.php?id=84#sdfootnote2sym

فهو يبتدئ بوضع فرض معين ذهنياً، وهو فرض مؤقت لا تقتضيه تلك العملية، لكنه يقبل الإختبار، وهو في حالة الإختبار لا يلجأ إلى مبدأ التأييد بالشواهد كما تقتضيها العملية الاستقرائية، إذ أي عدد يمكن إستقراءه فإنه لا يكفي للبرهنة على صحة القضية الكلية. فمثلاً مهما رأينا من الحالات التي يظهر فيها البجع أبيض فإن ذلك لا يخولنا ان نعتبر كل بجع أبيض[56]، ولقد ظل الأوروبيون قروناً عديدة لا يرون غير البجع الأبيض، مما جعلهم يتصورون أن كل بجع أبيض، حتى اكتشفوا – في يوم ما – البجع الأسود في استراليا، وبالتالي فقد أدى الاستدلال الاستقرائي إلى نتيجة زائفة[57].

على هذا فقد لجأ بوبر إلى مبدأ التكذيب والبحث عن الحالة التي تظهر الجانب السلبي من الافتراض المطروح، فحيث ان الفرض لا يجد ما يدفع إلى تكذيبه فإنه يصمد بقاءً، والعكس بالعكس. فالفارق بين مذهبه ومذهب الوضعية المنطقية، كما يؤكد، هو أن الصورة المنطقية للقضايا الكلية في مذهبه ليست مستمدة من القضايا الشخصية في الواقع الموضوعي، مع هذا فإنه يمكن مناقضة القضايا الأولى بالأخيرة (الشخصية)، أي أن من الممكن البرهنة من صدق القضايا الشخصية على كذب القضايا الكلية، بفعل عملية الاختبار من التكذيب. في حين أن مذهب الوضعية يعتمد على تكوين القضايا الكلية من القضايا الشخصية، وان التحقيق لديه عبارة عن التبرير والأخذ بمسلك التأييد[58]. وعليه إعتبر بوبر ان النظريات العلمية لا تقبل التبرير أو التحقيق، وإنما تقبل الاختبار، فحيث أنها تصمد أمام الاختبارات الشاقة والتفصيلية فإنه تثبت جدارتها بالتعزيز عن طريق الخبرة[59]، وهو ما يفسر النمو العلمي وقلب النظريات. فمثلاً ان نظرية ديكارت للجاذبية استبدلت بنظرية نيوتن عند معرفة ان الكواكب تتحرك اهليجياً وليس دائرياً. كما ان نظرية نيوتن استبدلت بنظرية أينشتاين للشذوذ الملاحظ في مدار كوكب عطارد[60].

لقد كان أينشتاين ذاته يميل إلى المنهج الإستنباطي عوض الإستقرائي، إذ كان يعمل وفق الطريقة الإفتراضية الإستنباطية في صياغة المبادئ النظرية والتصورات العقلية ليستخرج منها النتائج التجريبية. ويعتبر ان المفاهيم

---

56 – منطق الكشف العلمي، ص64. في http://www.philosophyofsci.com/index.php?id=84#sdfootnote2sym

57 – فلسفة العلم، ص388.

http://www.philosophyofsci.com/index.php?id=84#sdfootnote2sym

58 – منطق الكشف العلمي، ص78.

59 – المصدر، ص70 و81.

60- Imre Lakatos, 'Falsification and the Methodology of Scientific Research programmes', 1969, in: The Methodology of Scientific Research Programmes. Philosophical Papers, volume 1. edited by Worrall and Currie, Cambridge University Press, reprinted 1984, p.13.14.

والقوانين الأساسية كما تحددها المبادئ النظرية هي ابتكارات حرة للفكر الإنساني، بإعتبارها غير منتزعة عن التجربة والإستقراء. لكن هذه الابتكارات الحرة ليست مفصولة كلياً عن الاختبار والتجربة، فهي ليست كالرياضيات العقلية المحضة، كما أنها لا تشبه حرية كاتب الروايات الادبية أو تخيلاته، بل هي أقرب إلى حرية من يقوم بحل لغز من ألغاز الكلمات المتقاطعة. صحيح أنه يستطيع اقتراح أي كلمة لحل اللغز، لكن ليس هناك إلا كلمة واحدة فقط تحل اللغز في جميع أجزائه. ومن ثم فالطبيعة تتخذ مثل هذا الطابع للغز[61].

ولسنا هنا بصدد نقد ما نصّ عليه أينشتاين، فقد فعلنا ذلك في (منهج العلم والفهم الديني حسب المنظور الأوروبي)، فالمعنى الذي ذكره مبالغ في التعبير عن التفسير النظري لعلاقات الطبيعة، فمازالت التفسيرات مفتوحة على مصراعيها، ففي كل مرة يظن العلماء بأن الكلمة الأخيرة قد وجدت لحل اللغز في جميع أجزاء الكلمات المتقاطعة، إلا أنه يظهر بأن هذه الكلمة ليست هي المطلوبة على نحو الدقة، ومن ذلك أنه ثبت بأن النظرية النسبية لأينشتاين لم تكن الكلمة الأخيرة لحل اللغز، ولا توجد نظرية لحد الآن تقوم بهذا الدور العظيم. لكن ما يستفاد من تمثيل أينشتاين السابق هو أنه أراد أن يجعل الحدس العلمي الخلاق مهماً للغاية في التعبير عن الوصول إلى النظريات المناسبة، خلافاً للطريقة الاستقرائية التقليدية، لهذا وصف الحرية في هذا العمل العلمي بالتعبير (ضد الاستقرائية)، وهو ما يعني صياغة المبادئ النظرية غير المستخلصة من التجربة مباشرة وفق أرضية منطقية بحتة. وقد اعتمد في ذلك على لحاظ التعارض بين النظريات دون الاهتمام بالتجارب الفعلية.

لقد أصر العلم على ضرورة الأخذ بالتعميمات العلمية لأهميتها، حتى وان وجدت بعض الشواهد التي تكذبها أو تتنافى معها. فقد اظهر العلم انه يغض الطرف عن الشواهد السلبية للتعميمات، ويعتبرها وكأنها غير موجودة أو لا تعنيه ما لم تكن هناك نظرية تعميمية أفضل. وبالتالي، انه يعمل خلاف ما يتبناه كارل بوبر في نزعته التكذيبية. ففي المجال العلمي قد تحظى النظرية بالقبول رغم ما تحمله من شذوذ. ومن ذلك أن العلماء لم يرفضوا نظرية نيوتن في الجاذبية عندما وجدوا التقارير الأولية التي وضعها بشأن حالات كسوف القمر غير صحيحة. وأنهم لم يرفضوا هذه النظرية رغم فشلها في تفسير حركة عطارد وشذوذه،

[61]–أنشطاين: الفيزياء والحقيقة، ضمن أفكار وآراء، ترجمة رمسيس شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 78. كذلك: جولينوف: أنشتاين والنزعة الإجرائية ل(بريجمان)، ضمن: أنشتاين والقضايا الفلسفية لفيزياء القرن العشرين، لمجموعة من الباحثين، ترجمة ثامر الصفار، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1990، ص 40، عن المكتبة الإلكترونية:www.al-mostafa.com

فقد انقضت (85 سنة) على قبول هذا الشذوذ ثم اعتبرت شاهداً مكذباً أو مستبعداً للنظرية[62]، وذلك عندما تمّ تفسير هذا الشذوذ تبعاً للنظرية النسبية العامة لأينشتاين.

لذا أصبح من المعروف أنه يمكن للنظرية العلمية أن تبقى مورداً للقبول حتى لو ظهر دليل يكذبها، طالما لديها قوة تفسيرية كافية في نواحٍ أخرى. وكما يرى أينشتاين أن المبرر الوحيد لوجود النظرية العلمية هو أنها مدعومة بعدد كبير من الوقائع والمشاهدا[63] بل إن هذا الوضع قد يسمح بالأخذ بمبدأ الحفاظ على النظريات المفنّدة كالذي زعمه فيرابند[64]، فكل نظرية مفندة –أو لنقل مستبعدة- قد تعود مرة أخرى عندما يُكتشف من جديد أن هناك ما يؤيدها. أي الإستبعاد ليس عاملاً حاسماً لإسقاط النظرية كلياً.

ومثل ذلك صرح توماس كون بأن كل نماذج العلم تتضمن حالات شاذة، كنظرية كوبرنيك حول الحجم الظاهري لكوكب الزهرة، ونظرية نيوتن حول مدار عطارد، ومع ذلك فقد كانت هذه النظريات مقبولة خلافاً لتصور النزعات التكذيبية كما لدى كارل بوبر[65] . وعلى رأي فيرابند لا يوجد شاهد واحد يؤيد نظرية بوبر التكذيبية[66]. لذلك كان أينشتاين يرى بأن المبرر الوحيد لوجود النظرية العلمية هو أنها مدعومة بعدد كبير من الوقائع والمشاهدات[67]وكما يشاطره الفيزيائي والفيلسوف الوضعي فيليب فرانك فإن النظريات العلمية فروض ليست حتمية التصديق ولا يوجد معيار للحقيقة سوى التعزيز بالمشاهدات [68]. أو كما اتفق عليه العلماء اليوم بأن الفرضية العلمية لا تحتاج إلى الحسم التجريبي، بل هي بحاجة لأن تكون مثمرة وقابلة للتأييد فحسب[69] . وهو الحال الذي يجعل كل نظرية تحمل في أحشائها سر فنائها كما يرى توماس كون[70].

---

62 -_L. Jonathan Cohen, An Introduction To The Philosophy of Induction And Probability, Oxford university press, New york, 1989, p. 142. Imre Lakatos, The methodology of scientific reserch programmes, philosiphical papers, volume1, editted by Jhon Worrall and Gregery Currie, first published 1978, reprinted 1984, cambridge university press, p. 30

63–أينشتاين: النسبية: النظرية الخاصة والعامة، تقديم محمود أحمد الشربيني، ترجمة رمسيس شحاته، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص188، عن مكتبة الموقع الإلكتروني ليبيا للجميع: www.libyaforall.com.

64 – بول فيرابند: ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة محمد أحمد السيد، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية، ص ص 43-44، مكتبة المصطفى الإلكترونية.www.al-mostafa.com :

65 – الآن شالمرز: نظريات العلم، ترجمة الحسين سبحان وفؤاد الصفا، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، ص97، عن مكتبة المصطفى الإلكترونية.

66– بول فيرابند: ثلاث محاورات في المعرفة، ص 141

67 – أينشتاين: النسبية: النظرية الخاصة والعامة، ص188.

68 – فلسفة العلم، ص36.

69 -Madden, E. H., p. 7

70– نجيب الحصادي: الريبة في قدسية العلم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ص16، عن مكتبة الموقع الإلكتروني – www.4shared.com.

او هو أمر يجعل كل نظرية قابلة للموت المؤجل، فالعلم هو مقبرة للنظريات. لكن في الوقت ذاته قد يُسمح للنظرية بالحياة من جديد، كالذي أشرنا إليه سلفاً، رغم أننا لم نسمع عن عودة نظرية تمّ تركها بتمامها، إنما قد تعاد صياغتها ضمن التكيف مع التطورات الجديدة. ومن ذلك أن النظرية الجسيمية للضوء كما لدى نيوتن قد تمّ التخلي عنها عندما ثبت بالتجارب الحاسمة بأن الضوء ذو طبيعة موجية، لكنها مع ذلك أُعيد لها الحياة من جديد، ولو بالتكيف مع النظرية الموجية المتينة، كالتي دشّنها أينشتاين.

ومع ان بوبر لا يعد مسلكه يرتد إلى المنهج الإستقرائي، إلا انه يمارس عملاً إستقرائياً، سواء في البدء أو في المنتهى. ففي البدء انه من العبث أن يضع الباحث فرضاً ذهنياً وهو معزول مطلقاً عن النظر إلى الواقع والقرائن المتعلقة به، بشهادة سيرة كل من الناس وعلماء الطبيعة. فليس هناك فرض يمكن عزله عن السوابق من الملاحظات الخاصة بالقرائن التي تؤيد الفرض، سواء بوعي أو بغير وعي.

أما في المنتهى فمن غير المعقول أن يقال بأن التأييد ليس له تأثير على قوة الفرض، فمن منطق الحساب الإحتمالي ان إعتبار القرينة التأييدية لا بد أن تقوي من قيمة إحتمال الفرض. وبوبر لا ينكر هذا الأمر، لكنه اعتبر ذلك ليس بقوة ما تفعله القرينة التكذيبية، بل حسِب أن القرار المؤيد إنما يؤيد النظرية فقط من الناحية الزمنية، بإعتبار أن أي قرار سلبي لاحق يمكنه أن يؤدي إلى طرح النظرية[71]، وانه لا يوجد برهان حاسم لأي نظرية علمية "لأنه من الممكن دائماً أن نقول أن النتائج التجريبية لا يوثق بها"[72]، وبالتالي فهي قابلة للتكذيب. وقد يقال أليس هذا الحكم حكماً تعميمياً لا يجد تبريراً له من غير ملاحظة ما سبق أن تعرضت له النظريات، فكيف جاز هذا التعميم القائم بدوره على الاستقراء، وما هو مدى صدقه على أرض الواقع؟

مع هذا قد يقال أن حكم بوبر السابق يرتد إلى موقف ميتافيزيقي ليس بذي أثر على ما نحى إليه من تأسيس للمنهج العلمي، وذلك مثل موقفه من مبدأ السببية العامة واطراد قوانين الطبيعة. إذ كان حريصاً كل الحرص أن يبعد هذه القضايا عن مجال العلم ويعتبرها ميتافيزيقية طالما أنها لا تقبل التكذيب. وبالتالي فإن القضية العلمية لديه هي تلك التي تقبل التكذيب فحسب. لكنه مع هذا يجعل تفكيك القضايا عائداً إلى اختياراتنا ومواضعاتنا الذاتية، بالرغم من أنها قضايا معرفية ترتد إلى الواقع الموضوعي. فإذا كان الأمر مجرد ترتيب إجرائي فله أن يفعل ما يشاء، لكنه حين ينطلق من منطلقات فلسفية ويُشْكل على الدليل الاستقرائي ومن ثم يتمسك بالشبهة الهيومية، ولم يقتنع بالحل الوضعي في معالجة الإستقراء؛ كل ذلك يجعلنا ندرك أن عمله التفكيكي ليس قائماً على مجرد الحمل الإجرائي، ويظل الإشكال وارداً: بأي حق نعتبر

---

[71] – المصدر، ص70.

[72] – منطق الكشف العلمي، ص88.

مثل تلك القضايا التعميمية قضايا ميتافيزيقية؟ وكيف يمكن التثبت من كونها لا تخطأ ولا تقبل التكذيب؟ واذا كان من الواضح أنها لم تتأسس إلا بفعل الدليل الإستقرائي، فكيف يلجأ إليه بوبر وهو قد رفضه جملة؟

أما بصدد مناقشة بوبر على صعيد المنهج العلمي فيلاحظ ان عملية التكذيب وإن كانت تعبر عن قضية مضادة للتأييد، إلا أنها أيضاً . مثلها مثل التأييد . تستند في تضادها مع الفرض انطلاقاً من العملية الإحتمالية وتقوم بدورها على مسند إستقرائي يثبت كونها تكذيبية بالفعل. وابرز مثال على ذلك ما يتعلق باكتشاف كوكب نبتون طبقاً لنظرية الجاذبية. ففي البداية عُد الانحراف في مدار كوكب (يورانوس) شاهداً سلبياً بالنسبة إلى الجاذبية، لكن ذلك لم يطرح النظرية كلياً، وإنما أضعف من مصداقيتها، طالما كان من الممكن توجيه الشاهد بشكل لا يخرج فيه عن فحوى النظرية، وهو ما حصل فعلاً من قبل بعض أتباعها، حيث وجهوا الشاهد بالشكل الذي لا يكون فيه مناقضاً لمبدأ الجاذبية، فافترضوا وجود كوكب آخر مجهول هو الذي يسبب حالة الانحراف في ذلك المدار. وبالفعل ان أحد علماء الفلك استطاع ان يكتشف هذا الكوكب ويحدد مكانه، وهو ما أطلق عليه كوكب نبتون، الأمر الذي قوّى من مصداقية النظرية أكثر.

2 – النموذج المعرفي لدى توماس كوهن: 1922-1979

ظهر توماس كوهن[73]، الفيلسوف الأمريكي ومؤرخ العلم وأحد كبار أساتذة جامعة هارفارد، وهو أحد رواد فلسفة العلوم الأنجلوساكسونية الى جانب بوبر، حاول أن يربط بين تاريخ العلم وفلسفته. في كتابه "بنية الثورات العلمية" يفسر ما يحدث داخل العلم منتهجا النهج الباشلاري في التعبير عن مفهوم القطيعة أو الإنفصال في مسار العلوم. فما يميزه بشكل أساسي هو ادراكه ما يتضمنه انهيار أية نظرية عليمة.

فالعلم بعيد عن أن يكون نظاما متماسكا من الحقائق والمبادئ الراسخة فالنموذج هو أطروحته المعروفة "فما هي الأسس، من وجهة نظر كون، التي نستند اليها في اختيارنا لنموذج باعتباره نموذجا أفضل ومقبولا أكثر من آخر؟ انه ينجح بلا صعوبة في تحليل فكرة التقدم من داخل نموذج التقليد، أعني من داخل العلم القياسي".

[73] – عالم أمريكي، أستاذ الفلسفة بمعهد ماساشوستس ولد عام 1922، بدأ تدريس الفيزياء وهو لا يزال طالبا للدراسات العليا، تلقى منحة دراسية لمدة ثلاث سنوات بجامعة هارفارد، بدأت إرهاصات نظريته مع سلسلة من المحاضرات عنوانها "البحث عن نظرية لعلم الفيزياء" ألقاها في معهد لوويل في بوسطن 1951، نال درجة الدكتوراه في علم الفيزياء، تحول عن الفيزياء إلى فلسفة العلم، ويقول: " اطلاعي على نظريات علمية فات أوانها هدم جذريا بعض مفاهيمي الأساسية عن طبيعة العلم". قدم نظريته العلمية عن حركة العلم في التاريخ في كتابه (بنية الثورات العلمية) سنة 1962.

استعاض عن القطيعة بمصطلح الثورة والنموذج الأعلى وهو مصطلح البراديغم[74]، وكل براديغم يلغي الآخر في حالة حدوث ثورات حقيقية حيث ينتفي معها المعتقد الذي كان راسخا منذ أمد ربما دوغم. ومصطلح العلم العادي او السوي يدل على النموذج الراسخ السائد الذي يمكن ان تظهر تناقضاته ويحدث التغيير وهو ظرف طبيعي للعلم حسب التسمية.

بالنسبة له من الناحية المباشرة نجد الثورة تعني نمطا من التغيير المفاجئ السريع، مغايرا لمجرد النمو او حتى التطور الذي هو تغير تدريجي بطيء.. حيث يتمكن الباحثون عن الحقيقة العلمية من رؤية أشياء جديدة بطرق مختلفة، اذ يؤكد السرعة وليس على فكرة التطور او المسار الخطي للأفكار العلمية فالعلم في نظره ثورة دائمة.

اشتغل في أكثر العلوم الدقيقة كالفيزياء كما اشتهر بالفلك، العلم يتطور بدون شك بالاكتشافات المتنوعة لكن لا مجال للحديث عن التواصلية بل خضوع الحقائق للتجديد فالتحولات التي مست النماذج العلمية جعلت الباحثين يرون العالم الخاص بمواضيع بحوثهم في صورة مختلفة.

يتطور العلم حسبه عبر المراحل التالية: " يمر العلم عادة بسلسلة من المراحل تأخذ الصورة التالية: العلم العادي – الأزمة – الثورة (العلم الثوري) - العلم العادي مرة أخرى. حيث الثورة العلمية هي مصدر الانقلاب التجديدي، فيمكن القول تفترض أن يحدث تغييرا جذريا في بنية العلم وفي تفكير الباحثين، حيث يرسخ ما يعد شاذا أو الخارق للعادة والمألوف والذي يعتبر موقفا غير عادي، لكن الثورة العلمية تجيب عن تساؤلات لم تعد النماذج المعمول بها قادرة على تفسيرها.

بينما العلم العادي يعيش أكثر أي فترة أطول من فترة التثوير وذلك الى ان يبرز التفسير الجديد الذي يحدث القطيعة المعرفية مع ما كان سائدا من قبل. وحينئذ يبدأ التفكير الأبستمولوجيا أي عندما تكون هناك أزمات في العلم على رأي بياجي.

وحول مفهوم الثورة العلمية والتقنية "هي حصيلة التبدلات الجذرية التي طرأت على نسق المعارف والتقنيات، في غضون المسار التاريخي لنمو المجتمع البشري". فهي تعبر عن تبلور نظريات جديدة.

---

[74] – يمكن ترجمته بأنه النظرية النموذجية التي تسيطر على جماعة من الباحثين طيلة فترة معينة من الزمن في تفسير كل شيئ، وذلك قبل أن تسقط وتنهار وتحل محلها نظرية جديدة لفهم الظواهر مثل البراديغم الأرسطوطاليسي، أو براديغم انشتاين، حيث يهيمن على العقول.

"يعتبرها كون كنماذج متميزة من الأشكال المتعاقبة للفكر والممارسات العلمية التي يبدو أنها تثير نفس النموذج المعرفة الأساسية". وهوم ا يتعارض أيضا مع التصور التراكمي الكمي ومع فكرة الصيرورة الخطية للحقائق والتي ادعاها الإتصاليون.

نجد تحليل كون في كتابه المعروف "بنية الثورات العلمية" الذي يبحث في تطور المعرفة "... الذي اعتبر أحد أهم النصوص المكتوبة في مجال فلسفة العلم، بأن هدفه هو إحداث تحول جذري في "صورة العلم التي تستحوذ علينا". والكتاب هو حصيلة مشروع بحث امتد خمسة عشر عاما بدأه عندما كان طالبا في السنة الأخيرة في الفيزياء النظرية"[75].

وكان لأفكاره صدى وتأثير على المفكرين والفلاسفة فيما بعد "ان اقرار نموذج يكون دائما وفي الوقت نفسه هو قرار قبول نموذج جديد، والحكم الذي يؤدي الى هذا القرار يتضمن مقارنة النماذج بالطبيعة وبذاتها"[76]. هذا ما يؤكد عليه كون وهو كلام يصب في مصب النظرية النسبية إذ بالفعل الثورة العلمية يمكن دورها فيما توفره من امكانيات وما يحصل من هدم وإعادة بناء ومراجعة.

يصف الازمة بأنها تمهد للنظريات الجديدة أو ما يسمى بالبحث فوق العادي أو الشاذ ويتجاوز ما كان علما سويا وما ساد ربما فترة طويلة من الزمن حيث الاكتشافات والمستجدات قد تستبعد ما كان قائما من قبل المعرفة العلمية "وافكار كون الأولى عن نظرية تموج الضوء قد ظهرت في مرحلة مبكرة جدا من تطور الأزمة في البصريات"[77]. وفعلا أحدثت القطيعة بين معرفة كانت قائمة وأخرى جديدة وتغيرت أسماء النظريات بفضل تقدم البحث بالنسبة لهذه الظاهرة ونبين خطأ التفسيرات التي كانت معتمدة.

وهو تجدد دائما يلغي القديم الذي يصبح نظرية بالية ويستدعي اعادة النظر بالأفكار المعتادة والتخلي عنها إذا وجب ذلك، بينما قد يتمسك العلماء بالحقائق المعروفة لكن العلوم تمتلك ميزة تنقية ذاتها ويرضخ لها الدوغمائيون ويفقدون تأثيرهم.

---

[75]– هيلي، باتريك، صور المعرفة: مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، ص 155.

[76]– كون، توماس، تركيب الثورات العلمية، تر وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، 2000، د.ط، ص 139.

[77] – نفس المرجع السابق، ص 149.

"ولقد تفحص لحظات الانعطاف الرئيسية في التطور العلمي... فالخيال العلمي يتغير، وهناك تحول في العالم الذي ينجز فيه البحث العلمي"[78]. فنجاعة الثورة تتمثل في الامكانيات الكبيرة التي توفرها وتكون بناءة تجعل الأبحاث في تقدم. وفعلا، فالعلم إذن وبخاصة الطبيعي منه والذي يعمل في الجزئيات يقوم بين الحين والآخر بتعديل محتواه المعرفي بتمحيص نظرياته وقوانينه كما قد يتأسس وينشأ نسق علمي جديد بديل أصح من ذلك الذي كان سائدا من قبل.

هو أكثر من تطرق لمسألة المعارف الراسخة وخطئها وسلط الضوء على العلم الثوري، وأكد أن العلم نظريات غير ثابتة. فما وضعه كون مختلف حيث يضفي الطابع النسبي على المعرفة العلمية من زاوية أنها تكون دائما في طور الإعداد وهو لم يبتعد في ذلك عن باشلار أو بوبر مثلا.

يعتبر من أفضل من عبروا عن كيفية الانتقال من العلم القديم الى الجديد في مسار العلوم وأوضحوا الدور الرائد للتثوير في دينامية تاريخ وقائع العلم.

بالنسبة له الحقائق المستجدة تأتي لحل شذوذ النظريات السائدة، حيث تستبدل مكتشفات الباحثين بأخرى تهيمن بدورها على الساحة المعرفية. وكل معرفة علمية ترتبط بظروفها والتي لا يمكن تغاضيها واعتبار بالتالي القوانين المطلقة ثابتة. والإعتماد على التحليل الكوهني، الحقائق نامية ومتطورة حيث المعارف في العلوم ليست هي الواقع وإنما ما يقره الباحثون عن الواقع، لأن الأزمة تكون وراء ظهور المعرفة الجديدة وايجاد البدائل العلمية والظفر بمعلومات وانجازات متنوعة. "حيث يظهر النموذج الجديد عادة خارج العلم الطبيعي –السائد– يصنعه علماء الشباب أو علماء من اختصاصات مجاورة، لا يقرون جملة القواعد والقيود والموانع التي تكرست في النموذج السائد"[79].

تصور توماس كوهن بنية العلم:

يقترح كوهن تصورا للعلم قائم أساسا على الكيفية التي يتقدم بها منذ البدايات الأولى إلى أن يتأزم وتحدث الثورة، مركزا على الطابع الذي يحكم الجماعة العلمية باعتباره فضاء للممارسة العلمية ووليد العلم السائد "le science normale". وهو "النشاط الذي يقضي فيه العلميون لا محالة في أحضانه كل وقتهم تقريبا،

78 – نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

79 – ياكوفيتس، يو.ف، أعظم ثورة علمية في القرن الحادي والعشرين، تر: سعيد الباكير، دمشق: منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2012، ص 21.

مؤسس على افتراض أن الفريق العلمي يعرف كيفية تركب العالم"[80]. وعليه، فإن مهمة العلم السائد تنحصر في استخدام النظرية العلمية القائمة والاعتماد عليها في دراسة الوقائع والتنبؤ بها، وخلافا لهذا يعتبر خروجا عن دائرة اختصاصاته والحكم على حركة النشاط العلمي بالركود.

ويؤسس كون هذه الفكرة على ما تضمنته نصوص فيزياء أرسطو ونيوتن من مبادئ ومناهج سادت لفترة زمنية معينة تؤكد طبيعة العلم السائد المؤسسة على جملة الإنجازات العلمية الماضية، والتي تشكل نقطة الأنطلاق للإنجازات الجديدة"[81].إن العلم السائد حسب كون يعبر عن الصورة الموضوعية للتطور العلمي حيث يمثل مرحلة النشاط المكثف، ويتم ذلك وفق أربعة مراحل:

علم سائد (براديم 1) أزمة --- علم غير سائد. ثورة علمية --- علم سائد (براديم 2) أزمة ... وهكذا[82].

استنادا إلى هذه المراحل نجد أن توماس كون يرى أنه في مرحلة معينة تتميز بسيطرة براديم علمي معين ولكن تواجه هذا البارديم عوائق لا يمكن تجاوزها فتنشأ حالة أزمة وتتطور إلى "علم غير سائد" حيث لا تحل إشكالاته إلا عند ظهور البراديغم الجديد بدلا من البراديغم السابق مصدر الأزمة، إذا ينشأ البراديغم الجديد نتيجة الثورة على البراديغم القديم، فما المقصود بمصطلح البراديغم paradigme؟

البراديغم/النموذج المعرفي المُوجه:

يعتبره كون نسقا معرفيا تعرفه الجماعة العلمية، ففي مرحلة النضج يخلق العلم تطابقا كيفيا ضمن اطاره التاريخي يقوم بضبط أهم المفاهيم وإثارة أهم الإشكالات، وعلى وجه الخصوص تكوين مجتمع علمي يميز تلك المرحلة الخاصة قائلا: "في أثناء نمو علم ما، ينتج فرد أو مجموعة لأول مرة توليفا قادرا على جذب غالبية اختصاصي الجيل التالي، فإن المدارس السابقة لها ستختفي تدريجيا. إن اختفائها مُتأت في جزء منه عن تحول أعضائها إلى الجذر الجديد"[83].

---

[80] – توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: علي نعمة، ط1، بيروت: دار الحداثة، 1986، ص 23.

[81] – نفس المرجع السابق، ص 31.

[82] –Lena Soler, Introduction à l'Epistémologie, ellipes éditions marketing, Paris, France, 2000, p. 171.

[83] – توماس كون، بنية الثورات العلمية، مرجع سابق، ص 45.

ميز كوهن في كتابه "بنية الثورات العلمية" بين مفهومين لمعنى البراديغم، أما المعنى الأول فهو إجتماعي يمثل مجموع المعتقدات والقيم المتعارف عليها بين أفراد جماعة معينة[84]. ويحدد كون جانب خفي من البراديغم قائلا: "إذا كان يجب تسمية أساطير هذه المعتقدات المتجاوزة والأساليب التي جعلت الأخذ بها كحقيقة هي شبيهة بالتي تقود حاليا إلى المعرفة العلمية"[85].

الملاحظ أن كون قد قام برد الإعتقادات إلى أصول أسطورية ومن ثم فالبراديغم أسطورة مؤسسة لجماعة علمية معينة. أما عن المعنى الثاني فيقول: "نقصد بذلك الحلول الملموسة للألغاز والمستعملة كأنماط أو أمثال تستطيع أن تحل مكان القواعد الموضحة التي تستمر في العلم السائد"[86].

وعلى أساس هذا المعنى يقترح كون استخدام لفظ جديد هو النسيج الانضباطي (matrice disciplinaire)، ويحدد المقصود بهذا اللفظ كما يلي:"الانضباطي لأن ذلك يلزم بامتلاك مشترك من جهة الإختصاصيين لإنضباط خاص، نسيج لأن هذا يتألف من عناصر مرتبة بطرق متعددة والتي كل منها يتطلب دراسة مفصلة"[87].

ولقد حدد كون عناصر هذا المعنى الجديد للبراديغم، نذكر من أهمها: التعميمات الرمزية وهي صيغ رمزية بمثابة قوانين أو تعريفات علمية، والقيم التي تظهرها الخيارات الفردية حيال النظريات العلمية كالبساطة والتماسك والمعقولية. وهكذا يبدو تصور كون للبراديغم على أنه انجاز علمي معترف به بين أفراد الجماعة العلمية الذين تفرض عليهم جملة من الشروط:

1- اكتساب مهارة لا تنحصر في معرفة المحتويات النظرية المتصلة بالبراديغم أي تطوير كفاءة نظرية وتطبيقية.

2- تبني مجموعة من القوانين والمبادئ التي لا يفكر أي عالم من الجماعة أن يدحضها.

---

[84] – نفس المرجع السابق، ص 287.

[85] – نفس المرجع السابق، ص ص 19-20.

[86] – نفس المرجع السابق، ص 285.

[87] – نفس المرجع السابق، ص 298.

3- الإنقياد لبعض معايير البحث العلمي وذلك بتحديد أهداف مشتركة للبحث، الفعالية، التنبأ، البساطة..[88]

وعلى ضوء ذلك يؤكد كون على علاقة البراديغم بالعلم السائد قائلا: **" بدون الإنتماء إلى براديغم لا يكون هناك علم سائد، ولا يقدم البراديغم اقتراح أي لغز لم يكن قد حل"**[89].

من خلال دراسة كون لحركة التقدم العلمي يتوصل إلى موقف واضح بخصوص علاقة البراديغم بالعلم السائد، ذلك أن النشاط القائم على حل الألغاز وفق جملة القوانين التي يقترحها البراديغم المعمول به في فترة معينة، وسواء كانت هذه الألغاز نظرية أو تجريبية تسمح بتطوير البراديغم السائد وهي المهمة التي يقوم بها رجال العلم السائد.

ومنه، فإن حل الألغاز النظرية والتجريبية في إطار البراديغم السائد يؤدي إلى صياغة جملة قوانين البراديغم، وتوضيح مفاهيمه وضبط نتائجه، لذا فالحديث عن براديغم ساري المفعول وعد بالنجاح كما يؤكد كون، ووظيفة العلم السائد هو تحقيق هذا الوعد، قائلا: "إن نجاح جذر ما هو جزء كبير منه في البداية وعد بالنجاح يهدف العلم السائد إلى تحقيق هذا الوعد"[90].

3- البرنامج البحثية Scientific research programs: امري لاكاتوس lmre Lakatos (1922-1974)[91]

تنطلق نظرية لاكاتوس او لاكاتوش من مقولة فيلسوف العقل امانويل كانط التي تقول أن "فلسفة العلم بدون تاريخ العلم هي خواء وفراغ، وتاريخ العلم بدون فلسفة العلم هو تاريخ أعمى"، وهو يؤكد على ضرورة تحويل النظر من القضايا العلمية المفردة إلى قضايا النسق العلمي ككل الذي يجب اعتباره ميدانا للتجريب والتمحيص، وليس القضايا الجزئية، وهو بذلك يرى بأن مركزية العلم أو الوحدة الموضوعية

[88] -Lena Soler, Op.cit, p. 172.

[89]- توماس كون، بنية الثورات العلمية، مرجع سابق، ص 172.

[90]- توماس كون، بنية الثورات العلمية، نفس المرجع السابق، ص 52.

[91]- فيلسوف وعالم رياضيات مجري، أنتج أهم أعماله بين 1960 و1970 ولد في المجر ثم هاجر إلى انجليترا بعد فشل ثورة 1956 بالمجر، عاش بعدها حياة حافلة ومعقدة وقاسية أحيانا، مقتنع ومتأثر بالماركسية، عمل في وزارة التربية المجرية بعد الحرب العالمية الثانية ليتورط بعدها في الخلاف الذي دار حول الإصلاح التربوي قبل أن يتم توقيفه واعتقاله من طرف الشرطة السرية 1953 ونجح بعدها بثلاث سنوات بالفرار متجها نحو انجليترا، مساره التعليمي جد حافل بالإنجازات حيث درس الرياضيات الفيزياء والفلسفة في جامعة Debrecen بالمجر وحصل على الدكتوراه سنة 1944، ونال الدكتوراه الثانية من جامعة كامبريدج ببريطانيا ومارس التدريس بمدرسة الإقتصاد، تأثر كثيرا بكارل بوبير على الرغم من اختلافهما، وتقلد لاكاتوس منصب أستاذ في المنطق سنة 1960 ونال الأستاذية في فلسفة الرياضيات سنة 1970، توفي سنة 1974 بسكتة قلبية وعلى الرغم من صغر سنه إلا أنه ساهم في قلب الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة حول العلم والمعرفة.

والمنهجية للعلم ليست هي القضية، وإنما يتعلق الأمر بالبرنامج البحثي، كما يؤكد على العلاقة الجدلية بين فلسفة العلم وتاريخ العلم، ففلسفة العلم تعتبر سيرورة تاريخية تتطور داخل العلم وتخضع لصيغ من التقييم والتقويم، أما تاريخ العلم فهو نسق ومشروع خارجي يخضع لأنماط معينة من التجريب والإمبريقية[92].

وتلك العلاقة بين التاريخين تُحدث نوعا من التفاعل يجعل بالإمكان النظر إلى تاريخ تطور العلم بصورة من العقلانية، ويسمح بتوفير منهج لإعادة صياغته اعتمادا على تقويم مسار العلم وذلك بالنظر إليه ليس على أساس وحدة واحدة ومتماسكة وإنما هو بمثابة وحدات تتكون من برامج بحثية والتي تعتبر كأولوية أما تاريخ العلم كمفهوم خارجي فلا علاقة له بموضوع المعرفة العلمية ذاتها[93].

وهذه النظرية التي طرحها لاكاتوش بالإمكان اعتبارها بمثابة قواعد عقلانية تغطي كافة جوانب تطور المعرفة العلمية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى منهجية برامج البحث العلمي، والتي هي عبارة عن وسيلة للتقييم المقارن بين النظريات العلمية، وبالتالي جعل هذه الأخيرة بمثابة برامج بحثية التي هي مجموعة من القواعد المنهجية والموضوعية تبين الطرق الواجب اتباعها في البحث العلمي، وذلك دون تهميش وإلغاء القضايا والمواضيع الأساسية التي تشكل نواة العلم او النظرية بمفهومها الصلب والصارم[94]. وترتكز دوغمائية الفصل بين ما هو علمي وما هو غير علمي أو التقييم المقارن بين النظريات العلمية على افتراضين خاطئين وعلى معيار ضيق لتحديد الفرق، الافتراض الأول هو وجود حدود سيكولوجية طبيعية بين الفرضيات النظرية من جهة، والفرضيات الواقعية من جهة أخرى، والافتراض الثاني وجود فرضيات تكفي وفقا لمعايير سيكولوجية تدعم وجود نظريات واقعية، ويكون هذا صحيحا إذا بُرهنت تلك الفرضيات استنادا للواقع[95].

ويظهر دور البرامج البحثية من خلال الاستفادة من ردود الفعل حول قضية أساسية يتم تحديها أو يتم تفنيدها، وتلك الردود هي التي تؤسس لفروض علمية جديدة دون المساس بجوهر فروض القضية الأساسية. ويرى لاكاتوش بأن ردود الفعل سيساهم في تطوير البرنامج البحثي إذا كانت غايته عدم المساس بالنواة الصلبة للعلم، ويتم ذلك من خلال بناء فرضيات مساعدة التي تحاول تفسير ما هو غامض من القضية الأساسية، وبالتالي فإن البرنامج البحثي سواء كان جيدا أو سيئا فإنه يساهم في إرساء نظريات جديدة،

---

[92]-Imre Lakatos, History of Science and its Relational Reconstructions, PSA: Proceedings of the Biennial Meeting of the Philosophy of Science Association, Vol.1970, (1970)، p.91.

[93]-Ibid, p.92.

[94]- International Encyclopedia of the Social Sciences, (William A.Darity), 2nd edition, vol.06, p.261.

[95]- Imre Lakatos and Alan Musgrave, Criticism and the Growth of Knowledge, Cambridge, UK, Cambridge University Press, 1970, p. 173.

وأساس التجربة لتقييم أي برنامج بحثي هو التحقق من الفرضيات المساعدة وفيما إذا كان لها دور في التفسير عنما هو مبهم والكشف عن حقائق جديدة.

وتكون نتيجة ذلك المساهمة في نمو وتقدم المعرفة العلمية وبالتالي الزيادة أكثر في فهم الواقع، أما إذا فشلت تلك الفرضيات المساعدة في تفسير ما هو شاذ من المعرفة، فإن ذلك البرنامج البحثي يصبح في حكم المنتهي منه لأنه لم يقدم أي جديد يسمح له بالبقاء، لكن لا يمكن إلغاءه حتى يأتي برنامج بحثي جديد يقدم ما عجز عنه البرنامج البحثي السابق، وفي التفكير العلمي، النظريات تجابه بالوقائع، وواحد من الشروط المركزية للتفكير العلمي هو أن النظريات يجب أن تكون مدعمة بالوقائع[96]. ويرى لاكاتوش أيضا بأنه لا توجد نظريات هي بحكم الصدق الدائم ويعتبر أنه توجد فقط نظريات أقل خطأ من غيرها، كما ينفي أي دور للأمور اللاعقلانية التي تحدث في سياق تطور المعرفة العلمية.

ومما يُؤخذ على لاكاتوش أنه ألغى أي مساحة للتنافس بين النظريات، كما لا يُعطي فرصة للنظر في النظريات القائمة أو التي هي في موقع التجربة، فنظريته تفصل فقط فيما مضى من نظريات في أزمنة سابقة، فالبرنامج البحثي حسب رأيه إما أن ينجح آليا في فهم وتفسير ما عجز عنه برنامج بحثي سابق، أو يفشل في انتظار أن يأتي برنامج بحثي جديد يحل محله، لكن هذا لا يعني عدم الاستفادة من البرامج البحثية القائمة أ والجديدة حتى وإن كانت بديلة وفي طور التجريب، لأنه من الممكن بأن تصبح تلك البرامج البديلة بمثابة النظريات الصادقة والقادمة الواجب تطبيقها. ولكاتوش عكس فوكو الذي رأى باستحالة قيام علوم على أسس معايير قيمية، وفيرابند وتولمن ونوروود والكثير من العلماء الذين حاولوا جعل حقولهم المعرفية أكثر علمية[97]، يرى بأنه حتى بعيدا عن الإستناد للوقائع، ولفهم أفضل لعملية ما بعد النهضة يجب استعمال المفاهيم المعيارية والفلسفية، وهو الدي يجعل من تاريخ المعرفة موضوع للعقلانية وحتى للمعرفة العلمية، بمثابة قوالب في شكل معرفة ذاتية[98].

في العلوم السياسية والسياسة المقارنة بالخصوص، يجدر التنبيه الى الفرق بين الثورات العلمية استنادا إلى نظرية توماس كوهن وبين البرامج البحثية لإمري لاكاتوش، لأن هذا يعتبر معيارا لتحديد عدد الثورات المعرفية وأشكال البرامج البحثية الجزئية التي حدثت في هذا الحقل، فصياغة برنامج بحثي جديد كالوظيفية والبنيوية أو مقاربة النظام السياسي لدفيد ايستون أو الثقافة السياسية لغابرييل ألموند، وهو نفس الأمر

[96]-Imre Lakatos, Science and pseudoscience, Philosofical Papers, vol.01, (1973), p.21.
[97]-Encyclopedia of Philosophy, (Donald M. Borchert and others), op.cit, vol.03, p.596.
[98]- International Encyclopedia of the Social Sciences, (William A.Darity), 2nd edition, op.cit.04, p.339.

بالنسبة لباقي المقاربات والنظريات السياسية، فهي لا يمكن تأهيلها لتصبح كثورات بمعنى تحول في البرنامج الإرشادي المعرفي. عكس الأمر بالنسبة للثورة السلوكية التي يمكن اعتبارها ثورة بالمفهوم الكوهني.

حدود المعرفة العلمية وطبيعة الخطاب الإبستمولوجي عند بول فيرابند – ادغار موران:

ان القرن الحالي هو قرن التحولات والتغيرات الجذرية ويمثل قطيعة ابستمولوجية كبيرة مع الماضي فهو جديد بمقولات جديدة وعلم جديد. واصبحت هناك تحديات كبيرة على كافة الأصعدة والبحث.

محدودية المعرفة العلمية (التفكير الرياضي–البيولوجيا–العلوم الانسانية)

1– طبيعة الحقيقة الرياضية:

لم يسلم التفكير الرياضي من قيام العلوم على قاعدة جديدة، فلطالما اعتبرت الرياضيات الإقليدية أو القديمة نموذجا للتفكير الرياضي أو النسق الإقليدي لا يمكن إنشاء آخر غيره، أو انه الوحيد الصحيح الذي لا نطعن فيه، لكن تبين أنه لا يعبر تعبيرا كاملا عن الحقيقة رغم طول الفترة التي هيمن فيها على عقول الرياضيين.

فعن الهندسة مثلا، "رغم ذلك، اتضح تدريجيا أن الهندسة الاقليدية، وإن بقيت طويلا أكمل مثال يمكن أن يُساق عن نظرية استنتاجية، إلا أن الجهاز المنطقي الذي كان يدعمها لم يكن ليفلت من التجريح. فبعض هذه النقائص لوحظت في وقت مبكر جدا"[99]. اكتشف أن مفاهيمها لم تخضع لتحليل دقيق وكانت تقوم على البداهة العقلية المطلقة حيث بقيت في مستوى الاعتقاد الدوغمائي.

أما الرياضيات الجديدة اللاإقليدية فإنها تدمج مبادئ البرهان من بديهيات ومسلمات في نسق أكسيومي أو فرضي استنتاجي إذ بفضله أصبحت أكثر صورية من ذي قبل وحتى أكثر خصوبة وإبداعية. "وإذن، لو سأل المرء أحد علماء الهندسة الحاليين عما إذا كانت قضية معينة صادقة أو كاذبة، فإنه يجب عليه أو أن يسأل، أي مذهب؟ فالقضايا الهندسية إذن هي بدرجة بعيدة قضايا نسبية بالإضافة إلى المذهب"،

[99]– بلانشي، روبار، الأكسومية أو منظومة الأولويات، تر: محمود بن جماعة، صفاقس، الدار البيضاء: دار محمد علي للنشر، دار عيني بناني، ط1، 2004، ص 10.

فالحقيقة هي كذلك بالنسبة له ولنسقه التصوري أما غيره الذي يمتلك نسقا تصوريا متلفا يحددها بطريقة أخرى وهذا يفضي إلى رفض مزاعم ودعوى الحقيقة الكلية الشاملة.

وبرزت نظريات جديدة وأخذ في الظهور مجال نظري آخر مغاير ساهم في صنعه رواد نظرية المجموعات والطوبولوجيا "إن البعد الإبستمولوجي لهذه النظريات الجديدة على قدر كبير من الأهمية. فقد ساهمت بقوة – على وجه الخصوص- في تحويل مركز اهتمام الهندسة النظرية، بنقله من المحتوى إلى البنية،.."[100]. ونحن نعلم أن رصد ما يطرأ على العلوم من تغير من وظائف الفلسفة المختصة في نقد العلم أو الإبستمولوجية، "وهكذا فإن البحث في الرياضة مثلا، ذلك البحث الذي تطور في خلال القرن الحالي، هو بالتأكيد بحث فلسفي. ولكنه في الوقت نفسه مرتبط ارتباطا وثيقا بالبحوث الرياضية"[101].

نعلم أن كل علم يقوم على منهج وأن طبيعة هذا الأخير تابعة لطبيعة الموضوع المدروس، أما المنهج في الرياضيات فهو البرهان، على كل "كان البرهان الرياضي في التأويل التقليدي قطعيا وضروريا. وكان يقول: بما أن هذه المبادئ صادقة على الإطلاق، فالقضية المحددة التي استنتجها منها هي إذن صادقة أيضا (...) أما الآن، فالبرهان الرياضي لا يقول سوى هذا: إذا افترضنا، اعتباطيا،..." [102]. بمعنى أن الرياضيات تقوم على قضايا أولية أو فرضيات لا يقطع بصدقها، ومعيار الصحة فيها هو الصدق داخل النسق حيث لا تكون النتائج متناقضة مع المنطلقات. وهذا يمكن من بناء انساق أو أبنية رياضية هندسية مثلا. وكان في ذلك انتقال من رياضيات استنتاجية إلى أخرى أكثر تطورا أو من النموذج الإقليدي الذي يؤدي إلى نتائج يقينية.

بفضل الدراسات التحليلية النقدية –كالمنهج الأكسيومي-، بدأ التسليم بالبداهة والحدس في مختلف فروع الرياضيات يتعرض للإهتزاز،... هكذا تظل العلوم مقترنة بعدم اليقين وكل نسق تترتب عنه نتائجه التي لا تتعارض مع منطلقاته أو مقدماته. ما دام بإمكان أي رياضي وضع فرضيات والتوصل إلى نتائج صحيحة وحتى هندسة اقليدي نفسه والتي قد تعرضت للنقد هي صحيحة داخل نسقها. وظهرت عقلانية رياضية

[100] – بلانشي روبار، نفس المرجع السابق، ص 13.
[101] – نفس المرجع، ص 25.
[102] – بلانشي، نفس المرجع، ص 14.

جديدة تقوم على مبادئ وأسس تختلف عن مبادئ وأسس العقلانية الرياضية السابقة اتي سادت قرونا من الزمن.

وقد تبين عجز الهندسة القديمة على ملائمة نظرياتها مع المواضيع الجديدة بعد التطورات السريعة التي مر بها العلم فقد اكتشف العلماء المجال الذري وتطور الفلك، الأمر الذي ألزم الرياضيين على مزيد من البحث فأنشأت الهندسات التي تعرف باللااقليدية كهندسة "لوباتشيفسكي 1793-1856 وهندسة "ريمان" 1826-1866. وكلاهما تصدر عن مسلمة غير مسلمة اقليدس. وكانت هندسات تخيلية عكس سابقتها الحدسية التجريبية فالمكان كان إما نصف الكرة من الداخل أو المن الخارج، نجد في نسق إقليدس المكان سطح مستوي مجانس ثلاثي الأبعاد. واكتشف أنها هندسة المكان المستوي المتجانس إذ الأشكال محدوسة من الواقع وظهرت الهندسات العقلية إذ تقوم على أمكنة مختلفة كالمحدب والمقعر.

لقد صار هناك أكثر من هندسة واحدة كلها أنساق صحيحة لا تتعارض ولا تتناقض نتائجها مع الفرضيات أو المنطلقات. لقد تم فقدان الثقة بالبداهة العقلية وبالصرح القديم وإعادة النظر في أسسه ومبادئه التي كانت معتمدة على البرهان. إذا كان اقليدس قد بنى عمله الهندسي على أساس استواء المكان، فإن الهندسات الجديدة التي نشأت إبان القرنين التاسع عشر والعشرين، "هندسات لااقليدية" ذات بناءات وأسس أخرى.

لقد انعكس التقدم في مجال التفكير الرياضي ايجابا على التفكير العلمي عموما، "والظاهر أن التقدم الهائل الذي أحرزته الرياضيات في السنين الأخيرة قد أدى إلى إحداث تغير شامل في مفهوم العلم، فلم يعد المهم في البحث العلمي هو مجرد المشاهدات أو الملاحظة، بل أصبح المهم هو رد وقائع الحس إلى أرقام تقرأ على المراقم ومقاييس، وترجمة الظواهر الطبيعية إلى لغة الرسوم البيانية..."، فكل العلوم تستعمل الرياضيات وبنسب متفاوتة والعكس غير صحيح، لأن الرياضيات مستغنية كما نلاحظ عن العلوم الأخرى.

2- حدود معرفة الحوادث البيولوجية والإنسانية:

إننا في عصر العلم بامتياز، وقرننا هذا بالتحديد هو قرن العلوم وفي مختلف مجالات تخصصها، انسانية كانت أم طبيعية، وما يشهده العالم من تطورات سريعة يختلف عما كان في عصور طويلة كان العلم فيها يتطور ببطئ، إذ حصد نجاحات وتحولات علمية وتقنية، ولم يكن اكتشاف الحقائق العلمية حكرا على

علم الطبيعة فقط. حسب هارمان فيل: "يجب أن ننتظر مزيدا من التطور العلمي، ربما لبضعة قرون، حتى نتمكن من أن نرسم لأنفسنا صورة مفصلة للنسيج المتشابك من المادة والحياة والروح، ولكن ليس لحتمية هوبز ولابلاس الكلاسيكية أن تستبد بنا بعد الآن". بالفعل فعلوم الانسان تثبت وجودها اليوم عن طريق نموها.

" ويمكننا ان نقوم بنفس البرهنة بخصوص الثورة التي غيرت علوم الاحياء منذ خمسين عاما. وينبغي الا ننسى بان هذه المغامرة كانت قد بدات باعادة اكتشاف هيجو دوفرايس Hugo De Vries لاعمال غريغورماندل G.Mendel، وأنها، إلى حدود "النظرية التركيبية للتطور" هوكسلي J. Huxley ثم الى منطق الكائن الحي 1970 لفرانسوا جاكوب Francois Jacob، لم تنقطع عن اعادة فحص التاريخ الذي سبق حدث البيولوجيا الجزئية"[103]. ثورة لا مثيل لها في السرعة انجرت عنها تغييرات وقفزات معرفية نوعية هائلة تكمن في ثورة الاستنساخ وفك شفرات الجينوم البشري، وكانت ثروة عاكسة لتقدم العلم في الفهم العميق لأسرار الحياة والخلية وبخاصة الانسانية وفك رموز حوالي مائة ألف جين ضمن 23 زوج من الصبغيات وادخال الانسانية فيما يدعى صناعة الحياة في مجال حياة الوراثة من اخر الفروع التي برزت في علم الأحياء وأكثرها دقة وتطورا.

لقد ادت التطورات الى اعتبار القرن العشرين "قرن الجسد" او لنقل "زمن البيولوجيا" لان اهم الاكتشافات والتحولات التي حدثت فيه تتعلق بالجسد اذ بلغت حد تغيير الطبيعة الجسدية" وتحققت طفرة نوعية فصلت هذا العصر عن تصورات العصور السابقة. والمعرفة تتضاعف كل عقد من الزمن بشكل مهول قد أدت إلى احراز مكاسب كبيرة في المباحث العلمية.

حدود المعقولية عند جورج كنغيلام Georges Canguilhem 1904-1995، عرفت الفلسفة المعاصرة تحولات جذرية جديدة في التفكير بفضل ما حدث في ميدان العلوم من نقلة نوعية في النظرة إلى الطبيعة والكون مقارنة بالقرون السابقة، حيث كان تأثير الفيزياء القديمة الميكانيكية لا يزال موجودا. الموقف النسبي كان له انعكاس وتأثير على المفكرين المختصين في العلوم البيولوجية والعلوم الطبية وما بلغته من تطور هائل، كان لكنغيلام قراءة ابستمولوجية هامة اهتمت بدرجة أولى بمعرفة علم الأحياء.

[103] –لوكور، دومينيك، فيم تفيد الفلسفة إذن؟ من علوم الطبيعة إلى العلوم السياسية، ص 31.

هو الفيلسوف الفرنسي الذي تتلمذ على يد باشلار "من أكبر مؤسسي الفلسفة البنيوية" في مرحلتها الأولى، اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية في فرنسا، أهم مساهماته كانت تاريخ فلسفة العلم، وفلسفة المعرفة، والتاريخ الاجتماعي، من اهم المجددين في فلسفة العلوم، أشرف على رسالة الدكتوراه التي قدمها ميشيل فوكو للسربون عام 1961، درس الطب. ركز على ابستمولوجية الطب، كان له تصور حول مشكلة الحقيقة "اعتمد على فكرة نيتشه القائلة: الحقيقة والوهم، والصواب والخطأ، لا يصير كل منهما كذلك إلا من وجهة نظر معينة في لحظة معينة من التاريخ".

أما عن المحدودية في مجال الطب: "لا يوجد شكل مثالي، ولا وجود لكلاسيكية للمعقولية، فإن تعين على القرن التاسع عشر أن يتعلمها، فإن القرن العشرين يعرف منذ الآن أن كل اشكالية تقتضي ابتكار منهج مخصوص"[104]. مثل الموقف الباشلاري من المنهج، يربطه بالتجربة ما يجعل أن الفكر العلمي لا يتخذ بنية نهائية ولا تامة بل مؤقتة "إن المعقولية الطبية، لكونها بادئ ذي بدء المعقولية المطبقة على البيولوجيا، لا تخضع لمبادئ المنطق الكلاسيكي"[105].

كما يتساؤل عن مصير الموضوعية ضمن الابتكارات الجديدة ونقاط التحول في الأفكار حول المرض وظهور نوعية جديدة من الطب "ونشهد هنا، طلائع هزة ابستمولوجية في الطب"[106] إذ لابد على العلماء مراجعة أنفسهم وإعادة فحص الأسس التي يرتكز عليها علمهم وتقوم عفليها ابحاثهم، وقد انتقد ما كان سائدا في حقل الطب والفلسفة من قبل بينما ظهر تجديد ابستمولوجي عميق للأعمال الطبية ساهمت فيه أطراف عديدة وليس المختصين بالمجال فقط.

انتقد فكرة اعتبار تاريخ العلم تراكمي مثل معظم فلاسفة هذا العصر ومفكريه وقال: **"**أن العكس هو الصحيح، فالحاضر ليس نتيجة للماضي، ولذلك فإنه ليس دائما ولا ثابتا، والتاريخ كما نتصوره الآن لن يكون هو نفسه التاريخ الذي سيتصوره الناس في المستقبل، ... وتاريخ العلم ليس ثابتا أو جامدا، فالعلم

---

[104] – كانغيلام، جورج، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر: محمد بن ساسي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007، ص 570.

[105] – نفس المرجع السابق، ص 583.

[106] – نفس المرجع، ص 600.

بتجدده يطرح دائما تصورا متجددا عن تاريخه بقدر ما يطرح تصورا جديدا عن الحقيقة.. بحيث لا تبقى صورة الحقيقة جادة أو ثابتة بشكل دائم".

المعرفة الانسانية:

لم يقتصر التحليل الإبستمولوجي على مبادئ العلوم الصرفة بل تعدى ذلك إلى العلوم الإنسانية والإجتماعية المستفيدة من انجازات العلوم الأخرى. لقد حدثت فيها تحولات وتطور في البحث التاريخي والسيكولوجي وغيره، نجدها تنطلق من أن تصوراتها حول نظام الظواهر ليست بالشكل الذي كان متداولا والذي رددته العقلانية الكلاسيكية فلقد انتقلت نتائج البحث العلمي الى دائرة العلوم الإنسانية. والعلوم الانسانية هي من ضمن مباحث فلسفة العلم.

يحاول الباحثون والدارسون المتخصصون تفسير العمليات الإجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من السلوكات والظواهر الفردية والجماعية باتباع المناهج الملائمة، ما أدى الى تجديد الانسانيات. ما يجعل العلم نشاط ديناميكي حيوي في فهمه وتفسيره للوقائع، والمعرفة التي يبلغها ترتبط بحدوده وامكاناته.

كما تطرح طبيعة الموضوع المدروس عوائق ابستمولوجية، أي دراسة السلوك البشري بينما لم يمنع ذلك تحقيق نتائج مهمة، ذلك أن تحليل الأفعال الانسانية جد معقد. ذلك أن الحقائق الانسانية والاجتماعية ليست جامدة والمفاهيم المستخدمة نوعية ذات مضامين قيمية كما ان فروع العلوم مترابطة ببعضها البعض مع وجود الصعوبات واستمرار النقاشات على العديد من المستويات، كالمنهجية مثلا.

رافقت تلك العملية نقاشا ابستمولوجيا وتحولا في المناهج على مستوى المعارف الانسانية ومحاولة الاستعانة بمنجزات العلوم الاخرى واستعمال النسب والأعداد، وحول انفجار التطور العلمي كنتيجة للثورة العلمية، وانفجار الابداع العلمي تتغير بنية المعرفة العلمية.. تتقدم بشكل متزايد الوضوح عمومية القوانين بالنسبة لمختلف مظاهر المعرفة – بالنسبة للعلوم التاريخية والبيولوجية... وبسبب ذلك تتجذر علاقة المعارف التاريخية بالمعارف البيولوجية".

4- الحقيقة والمنهج من منظور فيرابند Paul K.Feyeraben 1924-1994

ناقش وجادل عديد مفكري وفلاسفة القرن العشرين مسألة الخلاف حول المنهج في البحوث المعرفية والابستمولوجية، اقترانا بالتطور الكبير الذي وصل اليه العلم في هذه الفترة، اذ اكتسب العلم مكانة كبيرة جعلته الحقيقة الكبرى لهذا العصر. يتم النظر للمفاهيم العلمية على اساس ابداعات حرة، انعكاس لتطور العلم، خاصة الفيزياء، "ينبغي ان نسلم اولا بان الحقيقة العلمية ليست من الواقع، بل ما يقرره العلماء عن هذا الواقع. لا توجد حقيقة علمية نهائية، بل تقترب النظريات المتعاقبة منها شيئا فشيئا".

"لا يمكن وضع الحقيقة العلمية خارج العالم المتغير، بل تظل دائما تحت الاختبار المتواصل. وهي ليست انعكاسا للوجود أو الواقع في المرأة، فالعلماء لا يكفون عن تغيير الطبيعة لخدمة اهدافهم العلمية، ولا يحدث ذلك التغيير فقط من خلال الاختراع والإنتاج، بل في مواصلة اصطناعهم للمنهج العلمي داخل المعامل نفسها" [107].

يرى باول فيرابند أنه ليس من الصواب اعتبار الفاعلية العلمية ماهية ثابتة، وترتبط رؤيته للنظرية العلمية بالمنهج والمعايير وتدخل الطابع الأيديولوجي في العلم وكيف ان العلم مُستثنى من النقد مع تبجيل المجتمع له. لذا، يطلب اخضاعه للنقد لإظهار الآليات المنتجة للمعرفة.

حسب فيلسوف "اللامنهج"، لا يوجد منهج خاص أو محدد المعالم ينتهج من العلماء، أشهر كتبه "ضد المنهج" يتضمن هذا الطرح، فالعلم لا تحكمه قواعد بل مظاهر الفوضوية، وليس له قواعد، يظهر بعيدا عن المعقولية والثبات، فالوفرة والتعدد المنهجي يعطي البدائل لنمو الفكر والنقد.

توضح بحوث فيرابند التاريخية أن العلم الثوري له حقا العديد من الملامح الفوضوية، وتوضح أيضا أن العلماء الثوريين يتعين عليهم أن يكونوا مبدعين ومتمتعين بالانفتاح العقلي، ومن ناحية أخرى، أن العلم العادي محكوم بقواعد إلى حد ما، وان العلماء العاديين لابد أن يكونوا غير مفرطين في الإبداع والانفتاح العقلي، حيث يتعين عليهم التشدق بالنظريات الحالية.

[107] -علي، حسين، العلم والأيديولوجيا: بين الإطلاق والنسبي، القاهرة: الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع، د. ط، 2008، ص 14.

لقد كان فيرابند شديد التحمس للنزعة النسبية أو النسباوية في العلم "لقد لمسنا تفسير فيرابند للعلم ينتهي بنا الى نسبانية كاملة، حيث بات من المستحيل، وكنتيجة لأرائه، أن نقارن بين أي نظريتين علميتين، وأن نختار أيا منهما بناء على أي أسس سوى ما كان منها أكثر ذاتية".

يدعو إلى العمل على تطوير العلم والنظريات المصاغة سابقا وعدم الغائها توقعا لما قد ينتج عنها من دور. وبالرغم من اعتباره من الفلاسفة الذين تأثروا بكارل بوبر، إلا أنه ثار عليه بعد ذلك وعلى أفكاره والتي على رأسها مبدأ القابلية للتكذيب، ويذهب إلى عدم شموليته لجميع النظريات والمعارف العلمية. من منطلق أن لا نظرية توصف بأنها تكون متسقة مع كل الوقائع في ميدانها وبالتالي لا مجال للقول بإمكانية اختبار واختيار من بينها الأصح ولا يستبعدها العلم من مجال النتائج التي يسلم بها فقط كون بعض الحوادث تتناقض معها وتدحضها.

الصفة المعقدة للحقيقة العلمية جعلت الشكوكية المنهجية ولم يبق علينا بالتالي الأخذ بمبدأ النظام واستبعاد الفوضى فقد كان عمل فيرابند "ضد المنهج" ليقوض تصور المنهج العلمي الواحد الثابت دائما. وغذا كانت المناهج ذاتها نسبية أو نسباوية، فلا غرو أن يؤكد فيرابند على أن كل شيئ في العلم نسباوي، مثلما أكد "توماس كون" على أن الأحكام العلمية نسباوية، أي بالنسبة للنموذج الإرشادي المعمول في إطاره بحيث لا مجال للقول هناك نظرية مصاغة مطلقة الصحة.

"الأمر الثاني هو اقرارنا مع بول فايرابند أن السؤال عن المنهج سؤال زائف لأن العلم لم يرتبط أبدا بمنهج واحد، بل كان يتمرد على كل سلطة لأنه مؤسسة فوضوية... كل شيئ جائز"[108]. إذ مادام لا وجود لعبارات تعكس بأمانة الواقع التجريبي لا توجد صفة مميزة للعلم، ويمكن وضع أي بناء نظري من وقائع معينة وليس هناك معايير موضوعية. ويستشهد بتاريخ العلوم، أنه لم تقم النظرية النسبية بقلب القوانين العلمية رأسا على عقب والأمثلة كثيرة وإثبات أنها لا تسلك طريق التراكم.

هناك أبنية ثقافية حسبه تم اعتبارها تصورات علمية، كما يتم الدفاع عن التصورات القديمة على غرار الفيزياء الأريسطوطاليسية.

[108] – تيبس، يوسف، التصورات العلمية للعالم: قضايا واتجاهات في فلسفة العلم المعاصرة، ص 101.

" المهم قوله هو اعترافه ببناء تاريخ الميتودولوجيا على التناقض في جل مراحلها. وهو ما يقرره بوبر بنفسه، إذ يقول: "إن أي شخص يعتقد بأن المنهج العلمي طريق يقود إلى النجاح العلمي سيخيب، لأنه لا يوجد طريق ملكي للنجاح... وإذا كان على أحد أن يعتقد بأن منهجا علميا، المنهج العلمي هو طريق لتبرير النتائج العلمية، فإنه سيخيب كذلك، فالنتائج العلمية لا يمكن تبريرها، بل نقدها واختبارها فقط"[109]. ففيرابند ضد المنهج أي المنهجية والعقلانية ففي نظره الإجراءات في العلم تتغير. ويدعو إلى محاربة الأفكار الشائعة الناجمة في رأيه عن محاولة الغرب ادعاء التفوق باسم التطر العلمي ويرفض المبادئ الثابتة بل بعكس ذلك يرى أن الأشياء جميعها ينبغي أن نقول أنها تجوز.

رفض فيرابند القواعد المنطقية الصارمة والقوالب الذهنية الجامدة في سياق تحليله للعوامل المتحكمة في الإبداع العلمي من نفسية واجتماعية وغيرها وهي من الأشياء التي يتميز بها (يبدأ كتابه المعروف "ضد المنهج" باعترافه أنه ينوي الحديث عن نوع من الفوضوية المعرفية"[110].

إن هذا العصر علمي جديد أصبح فيه الدارسون يركزون على دور الخيال والحدس ويقولون بوجود المفارقات. يرى فيرابند أن لا وجود لميدان ابستمولوجي خالص وينوه بدور المصلحة وتبادلها والذاتية والمنطلق هنا عند فيلسوفنا ومنه ينحو نحوه هو مرجعية نيتشوية وكذا نتيجة تأثير فلسفات معاصرة أخرى. وهناك من يلحق العلم بشبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية ويعتبره جزء من الحياة المجتمعية، العلم كظاهرة ثقافية. لذلك تغيرت زاوية النظر لطبيعة العلم، وتم تناول مسألة التحول في التنظير المعرفي. يركز على عدم الاتساق وعدم التماثل والدعوة إلى عدم التمسك بالموضوعية وفكرة العقل كما يروج لها الغرب في حضارته. ويمكن القول إن تطور العلوم لا يفضي إلى تغير التصورات العلمية فقط بل كذلك المناهج المتبعة في صياغة المعرفة، أو الإجراءات المنهجية والتقنية، "فما هو المنهج الأمثل للعلم؟ يصدمنا فيرابند بالقول بأن العلم ليس له منهج خاص به يميزه عن نشاط فكري آخر".

النظرية الفوضوية في المعرفة تقوم على رفض كل سلطة والإعلاء من العقل وإنكار الإعتماد على منهج علمي موضوعي. بل يرى أن التقدم العلمي لن يتحقق إلا بكسر العلماء لكل القواعد المتصورة للعقلانية،

---

[109] – نفس المرجع، نفس الصفحة.

[110] – فيرابند، بول، ثلاث محاورات في المعرفة، مع دراسة نسبية المعرفة عند بول فيرابند، تر: محمد أحمد السيد، منشأة المعرف، الإسكندرية، د ط، د س ن، ص 10.

يقول فيرابند: "أنه مهما بدت القواعد المنهجية ضرورية وأساسية بالنسبة للعلم فإن هناك دائما ظروف تستدعي ليس فقط تجاهل هذه القواعد وإنما العمل بعكسها."[111] وهذا هو تفسيره ورؤيته لطريقة ظهور نظريات جديدة وزوال أخرى قديمة قد كانت راسخة، رافضا الحقائق التي تهيمن دون فحص ونقد إذ لا توجد قاعدة واحدة، مهما بدت ممكنة، أو مستندة إلى أسس ابستمولوجية راسخة إلا وتم تجاوزها في فلسفته.[112]

على عكس الوضعانية، يثني على التناقض وأهميته في العلم، وهو يؤكد على التنوع والفحص، العلم في تجدد ويصفه بالفوضوية المؤدية إلى الإبداعية ويصف العلماء الثوريين بأنهم يحملون روح الإنفتاح المؤدي إلى خصوبة الفكر.

اهم من انتقده، لاكاتوش مثلا لإنكاره الإعتماد على منهج موضوعي والدعوة إلى تجاوز القواعد العقلانية.

6- القطيعة المعرفية: غاسنون بشلار 1884-1962

يُعد باشلار مؤسس فلسفة العلوم الفيزيائية والكيميائية. وهو إلى جانب اهتمامه بالتفكير العلمي اهتم بعلم النفس. وقد شغلته الفلسفة المفتوحة التي دعا إليها فردينان كونزت العالم السويسري المختص في الرياضيات، فقد تبناها وطورها ودافع عنها. كما كان الفيلسوف والإبستمولوجي والناقد الأدبي غاستون بشلار أحد اولائك الذين عاشوا الثورة العلمية التي أحدثتها نظرية النسبية في الفيزياء، وبالتالي جاءت أعماله الإبستمولوجية كاستجابة للتصورات العلمية التي "ألغت قاعدة التأثير عن بعد، ووحدت بين الكتلة والطاقة، واستبعدت الأثير، وألغت المفهوم اللاهوتي المطلق للزمان والمكان". لهذا السبب يضعنا بشلار أمام الحقيقة التالية: "لا يمكننا أن نفكر في مهام الإبستمولوجيا دون أن نأخذ بعين الإعتبار الطبيعة الخاصة للمرحلة العلمية الراهنة التي نريد أن نفكر فيها إبستمولوجيا، وسيتبين لنا عندئذ أن العلم المعاصر هو من السعة بحيث لا يمكن لمن لم يتتلمذ على العلماء أولا أن يكون ابستمولوجيا عند الإكتفاء باصدار أحكام عامة، [113] تراوح بين عقلانية تجريبية وعقلانية ميتافيزيقية، وهذه الفلسفة كانت محور العقلانية العلمية أو العقلانية الرياضية أو العقلانية التطبيقية أو الفلسفة المفتوحة، وهي جميعا أوصاف بها بشلار فلسفته

[111] -ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، ص ص 403-404.

[112] -المرجع السابق، ص ص 11-12.

[113] -محمد وقيدي، ما هي الإبستمولوجيا؟ الرباط: دار المعارف، ط2، د.ت.ن، ص 17.

العلمية، وتعني شيئا واحدا: "العقلانية التي تقوم على الحوار بين العقل والتجربة، وترفض الإنطلاق من مبادئ قبلية كما ترفض ربط الفكر وعملياته بالمعطيات التجريبية وحدها"[114]. لقد شكل التفكير في مبحث المعرفة عند باشلار إحدى الأطروحات الأساسية في مشروعه الفلسفي، إذ كتب سنة 1927، "محاولة في المعرفة التقريبية" وفيه "يرفض بساطة التفسير القبلي بالإعتماد على المبدأين التاليين:

1- تفسير التقدم العلمي بالمنفعة ساذج وخاطئ.
2- مفاهيم الواقع والحقيقة ينبغي أن تحمل معاني جديدة على ضوء فلسفة الإحتمال".

ويعمل على شرح هذه الرؤية سنة 1938 في كتابه "تكوين الروح العلمية"، قائلا: "ينبغي أيضا أن نقلق العقل ونحرج عادات المعرفة الموضوعية"[115]. على أساس هذه الثورة في نظام التفكير، تصبح المعرفة أداة اكتشاف: " أن تعرف هي أن تصف لتجد، أحيانا هي المهمة الأولى التي تطغى وتبدو مسألة خاصة، ووظيفة المنعة لا تظهر بشكل مباشر"[116]. يرى باشلار أن: " المعرفة ينبغي أن تمتلك عنصر تأملي"، لأنه إذا كان بإمكاننا تحديد وإعادة بناء المعطيات المباشرة، فإننا لا يمكننا إرجاع الفكر المباشر لأن التأمل في عمقه ثقافة، وبالتالي: "لا يمكن أية ذكرى أن تكون موضوعية إلا من خلال شخصية تشجع على التغيير وتغير بمجهودها من أجل معرفة حقيقتها"[117].

هذه المسألة، جعلت باشلار يدعو إلى إدراك المعرفة في اتجاهها، وبعيدا عن أصلها الحسي، خاصة عندما تكون خاضعة للمعرفة، لأن " المعرفة في تطورها في شكل من أشكال الإبداع المستمر، إذ نجد أن القديم يفسر الجديد ويستوعبه.. والجديد يصرح بالقديم وينظمه"[118]. معنى ذلك أن تاريخ المعرفة هو تاريخ للإستمرارية بين نوعين من المعارف: المعرف القديمة والمعارف الجديدة.

فهو بذلك يدعو بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى استيعاب المعارف والفلسفات الجديدة، مع أنه لا ينفي نفيا كليا المعارف والفلسفات القديمة. وعلى أساس هذا المنهج، يستعير باشلار، من تاريخ العلم مفهوم القطيعة الإبستمولوجية للفصل بين المعارف القديمة والمعارف الجديدة لأن "في مجموع العلم الميكانيكية: نجد الميكانيكا النسبية، والميكانيكا الكوانطية، والميكانيكا الموجية علوما بدون أسلاف"[119]. وتصبح بذلك

---

[114] -محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، الجزء 2، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982، ص 250.

[115] -Paul GINESTIER : Pour Connaitre Bachelard- Bordas 3 éme Ed. Paris 1987- p.09.

[116] - Ibid, p. 75.

[117] -Gaston Bachelard : Essai sur la Connaissance Approchée-Librairie Philosophique-J.Vrin- 3 éme Ed. Paris 1969- p.9.

[118] -Op.cit – p 15.

[119] - دراسات عربية، العدد 43، جانفي 1992، ص 05.

فلسفته متعددة الجوانب في مقابل الفلسفات القديمة الاحادية الجانب في هذا الموقف: القيم الإبستمولوجية تنظم فلسفات المعرفة العلمية، يلتقي الفيلسوف العربي بالإبستمولوجي الفرنسي، لأن كلاهما جعل نظريته في المعرفة تراعي ما حدث في العلم من تطور، وحاول أن يجد للعمل المعاصر له الفلسفة التي يستحقها، معنى ذلك أن الفكر قد يسبق المصطلح، لهذا رأى الأستاذ محمد ثابت الفندي: "أن هذا الموضوع الهام، رغم خوض القدماء فيه فإنهم لم ينتبهوا إلى أهميته، وبالتالي لم يبرزه تحت اسم خاص به كما برز بقوة في الفكر المعاصر تحت اسم فلسفة العلوم أو اسس العلم"[120].

وضع مفهوم القطيعة الإبستمولوجية في إطار تصوره لتاريخ العلوم الذي كان يعارض به النظرة الاستمرارية لذلك التاريخ. وقد قدم باشلار تصورا انقطاعيا عن تاريخ العلوم. فكرته الأساسية هي أن العلوم لا تتطور بالكيفية التي تسمح باستنباط النظريات الجديدة من التاريخ السابق لها في مجالها، ولا فهمها في جميع الأحوال في ضوء النظريات السابقة. فليس في تاريخ العلوم استمرار مظهره الانتقال في التطور من نظريات إلى التي تليها فحسب، بل فيه أيضا مظاهر قفزات كيفية وثورات معرفية لا يكون فيها الجديد دائما استمرارا لما سبقه، وهذه هي المظاهر التي اقترح باشلار من أجل فهمها مفهوم القطيعة الإبستمولوجية. حدد باشلار مستويين تظهر فيهما القطيعة الإبستمولوجية: بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية، من جهة، قم مع ظهور أنساق علمية فيها مظاهر جدة تراجع مبادئ مفاهيم العلم السابق من جهة أخرى.

ناقش باشلار دلائل دعاة الاستمرارية بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة. فهم يرون أن المعرفة العلمية منبثقة عن المعرفة العامة التي يبحثون فيها عن أصول للأفكار العلمية. لا تمنع درجة التجريد والعمومية في المعرفة العلمية، في نظرهم، من إمكانية العودة بها إلى جذورها في المعرفة العامة. لكن باشلار يذهب في اتجاه مضاد لهذا الرأي مؤكدا أن التطورات التي عرفتها المعرفة العلمية، في القرنين التاسع عشر والعشرين بصفة خاصة، جعلتها تتكون، بقدر ابتعادها عن المعرفة العامة والقطيعة معها. فالمصباح الكهربائي لا يمكن فهمه انطلاقا من المصباح العادي، مع أن المشترك بينهما صدور النور عنهما، لأنه اكتشاف علمي جديد لا علاقة له بالمصباح العادي. والقطيعة بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية شاملة لأنها تأسيس للمعرفة العلمية ذاتها، ولأن المعرفة العلمية بما عرفته من تطورات ابتعدت بصورة تامة عن أن تكون استمرارا للمعرفة العامة أو استنباطا منها.

3- المستوى الثاني للقطيعة الإبستمولوجية يتم داخل تطور المعرفة العلمية ذاتها، وذلك بفضل اكتشافات علمية جديدة تكون منطلقا لأنساق علمية جديدة وأساسا لمراجعة الفكر العلمي لبعض المفاهيم التي كان يعتمدها في فهم الظواهر التي يدرسها. وفي نظر باشلار، فإن فهم

[120] – محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، بيروت: دار النهضة العربية، 1980، د.ط، ص ص 85-86.

النظريات العلمية الجديدة في إطار التصور الاستمراري لتاريخ العلوم يحجب عن المحلل عناصر الجدة فيها. عرفت العلوم الرياضية منذ القرن التاسع عشر ظهور أنساق هندسية لا اقليدية، وعرفت العلوم الفيزيائية ظهور أنساق فيزيائية غير النسق النيوتوني. وهناك داخل هذه التطورات الكبرى اكتشافات علمية دعت العقل إلى مراجعة مفاهيم ومبادئ كانت تؤخذ على أنها من ثوابته مثل مفاهيم المكان والزمان والسرعة وطبيعة المادة والحتمية في قوانين الاشياء، بل ومفهوم العقل ذاته. عبر باشلار بمفهوم القطيعة الإبستمولوجية عن مظاهر **الجدة** في النظريات العلمية التي بدأت نشأتها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهكذا، فإن الأنساق اللااقليدية ليست مستنبطة من النسق الاقليدي لأنها تأسست على مصادرات مختلفة عن مصادرة التوازي الاقليدي، ولأن لها نتائج مختلفة بحيث لا يكون مجموع زوايا المثلث فيها معادلا لمجموع زاويتين قائمتين كما هو الشأن عند أوقليد. أما بالنسبة للفيزياء فإن النظريات الجديدة لا يمكن استنباطها مما سبقها لأن لها قيمة استقرائية لكونها قامت على أساس ملاحظة ظواهر جديدة لم يسبق للفكر العلمي السابق ملاحظتها.

4- من جهة أخرى، فإن ميزة الأنساق العلمية الجديدة، في الرياضيات كما في العلوم الفيزيائية، لاتقوم بإلغاء الأنساق القديمة، بل تكتفي ببيان حدودها. فالنسق الأوقليدي يظل قائما لينضاف إليه نسقا ريمن ولوباتشفسكي اللذين يقومان على أساس تصورين جديدين للمكان، وكذلك فإن الميكانيكا النيوتونية تظل قائمة في حدود أن قوانينها نسبية تتعلق بالأجسام ذات السرعة الأدنى من سرعة الضوء، في حين أن الميكانيكا النسبية تتعلق بالأجسام ذات السرعة والضوئية. وأما من جهة الميكروفيزياء، فإنها تضيف إلى قوانين الميكانيكا النيوتونية قوانين تتعلق بالأجسام الدقيقة غير المرئية في الملاحظة المباشرة. وهكذا، فإن القطيعة الإبستمولوجية تعني الانتقال نحو فكر علمي أشمل وأكثر انفتاحا يعمل بأكثر من نسق واحد، أي مع بقاء الأنساق السابقة محتواة ضمن فكر علمي جديد.

إذا كان باشلار قد بلور مفهوم القطيعة الإبستمولوجية انطلاقا من تفكيره في واقع العلوم الرياضية والفيزيائية، فإن إجرائية هذا المفهوم اغتنت واتسعت بالتطبيقات التي قام بها بعض الباحثين في مجالات أخرى هي تاريخ العلوم الإنسانية وتاريخ الأفكار

– النسبية عند غاستون باشلار:

له قراءة مهمة في فلسفة العلوم عمل على بناء خطاب فلسفي جديد يعبر عن القيم المعرفية التي حملتها النظريات العلمية المعاصرة في القرن العشرين. تدور مؤلفاته حول موضوعين أساسيين وهما: نظرية المعرفة العلمية والنزعة الشعرية المقترنة بالتحليل النفسي.

دقق وتعمق في الميدانين العلمي والفلسفي في تناوله لقضية المعرفة العلمية وتعمق أكثر في مجال فلسفة العلم، و"الحقيقة أنه درس عدم ثبات النظريات العلمية وضرورة تجددها وتغيرها مع تقلب الأزمنة وأكد أن الصواب يتولد من الغلط". اشتهر بموقفه من مسألة الانفصال والإتصال في العلوم وبمفاهيم ابستمولوجية كالعائق والقطيعة المعرفية مع المعارف القديمة، فالمعرف العلمية بالنسبة له تقوم على النفي وتستبعد بديهيات الحس المشترك.

متخصص في فلسفة العلوم، دعا لبناء خطاب فلسفي جديد يعبر عن القيم المعرفية التي حملتها النظريات العلمية المعاصرة في القرن العشرين، تدور مؤلفاته حول موضوعين أساسيين: نظرية المعرفة العلمية والنزعة الشعرية المقترنة بالتحليل النفسي.

له اسهاماته الإبستمولوجية مهمة، العقبة المعرفية والقطائع المعرفية والجدل والتاريخ التراجعي وقد تركت أفكاره اثرا في فلسفة المعاصرين وانعكست مفاهيمها في رؤى المشتغلين في الحقل الفلسفي. يعد من مؤسسي فلسفة العلوم الفيزيائية والكيميائية، كما اهتم بعلم النفس، في كتاب "شاعرية الأحلام" جعل الإنسان كائنا مبدعا وخلاقا.

شغلته الفلسفة المفتوحة التي دعا اليها فرديناند كونزت العالم السويسري المختص في الرياضيات، بناها وطورها ودافع عنها. تناول قضية المعرفة العلمية بشكل دقيق وتعمق في فلسفة العلم، ودرس عدم ثبات النظريات العلمية وضرورة تجددها وتغيرها مع تقلب الأزمنة وأكد أن الصواب يتولد من الخطا.[121]

[121] – موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، إعداد: روني إيلي ألفا، مراجعة جورج نخل، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 192.

اشتهر بموقفه من مسألة الإنفصال والإتصال في العلوم ومفاهيم ابستمولوجية كالعائق والقطيعة الإبستمولوجية مع المعارف القديمة، إذ تقوم المعارف العلمية حسبه على النفي وتستبعد بديهيات الحس المشترك.

وقد كان لفلسفة العلوم الباشلارية وللكيفية التي استجابت بها للتطور الكيفي الذي عرفه تطور العلوم وفسرته بها مكانة خاصة ومتميزة ضمن التفكير الفلسفي الفرنسي المعاصر. وكانت مسايرة للنظريات الجديدة فجاءت تعبر عن الأثر العميق الذي أحدثته في العلم ثورة القرن العشرين، حيث كلما تغيرت القوانين العلمية تتغير أيضا تصوراتنا المؤقتة التي تنشأ حول الكون والعالم. معتبرا القرن العشرين، عصر الانفجارات العلمية الكبرى وحسب فلاسفة العلم المعاصرون، هو قرن نضج مراحل التطور المعرفي. رأى أن العلم هو الموضوع الأساسي للتفكير الفلسفي. وان يعكس التفكير الفلسفي نتائج تطور العلم وتجاوز الأنساق المغلقة العقيمة المثالية التي تعتبر الحقيقة العلمية مطلقة وهذا غير مساير للانفجارات العلمية والأبحاث الهائلة التي شهدها هذا العصر من تحولات كبيرة.

دخل في حوار مع المذاهب والتيارات الفلسفية المثالية والتجريبية وتحدث عنها كما تحدث عن الوضعية وتبنى ابستمولوجيا لا ديكارتية معارضا من خلالها ديكارت على اعتبار أن هذا الأخير صاحب منهج لا يمكن من تطور الفكر العلمي مقابل تعقد التجربة.

اعتمد على مراجعة التصورات والمفاهيم في الفيزياء وعلم النفس وغيره جعلت من الخطأ القول أن الحقيقة العلمية واحدة. الحقيقة ليست قبلية ولا جاهزة والمعلومات ليست صرحا نهائيا قائما على أسس قطعية فالتقدم يتحقق من خلال العناد والجدل "والنشاط الروحي للعلم الحديث ينصرف اليوم إلى بناء عالم على صورة العقل، بعد ان انصرف من قبل–في أيامه الأولى إلى تشكيل العقل على صورة العالم"[122]. "ولقد كانت إعادة النظر التي قام بها مذهب انشتاين إعادة كلية من زاوية علم الفلك"[123]. ونشأت الميكانيك اللانيوتنية كل ذلك تمخض عنه ظهور قيم ابستمولوجية جديدة إذ كيف صار تصور الفيزياء مثلا بعد تجاوز النيوتنية والتصورات والمفاهيم المطلقة التي قامت عليها؟

[122]–باشلار، غاستون، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا: د. عبد الله عبد الدايم، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002، ص 15.

[123] – نفس المرجع السابق، ص 40.

كما تحولت الرياضيات اللااقليدية وغيرها من العلوم وغيرها ويضيف باشلار: "إننا لا نذكر بهذه الثورات المتصلة بمفهوم واحد إلا لكي نلفت النظر إلى أن هذه الثورات تواكب في الزمان ثورات عامة تأثير عميق في تاريخ الفكر العلمي"[124]. تطلب الأمر أن تنشأ فلسفة للعلم تعني بالكشف عن الأخطاء التي ارتكبها العلماء والمفكرون والأوهام التي وقع فيها العقل والتي تعتبر المعرفة الإنسانية عاجزة قاصرة عن حصرها. ونجد أن العلم سلسلة من الحلقات، من المفاهيم والقوانين تتطور دائما ودراسات وأبحاث بعضها توصلنا إليه والبعض الآخر لم نتوصل إليه بعد.

والنسبية حسب باشلار وليدة شكفي الافكار البديهية[125]. المقصود أن المبادئ التي أقام عليها العلماء النظريات القديمة حيث النظريات العلمية فيها تدمير للرأي والعلم القديم الذي تاريخه هو تاريخ أخطائه، حيث مفهوم الانفصال هو تعبير عن القفزات الكيفية في تطور العلوم والتي تؤدي إلى تجاوز العوائق المعرفية وإحلال القوانين الجديدة محل القديمة وقيام فكر علمي جديد وأما العوائق فهي تظهر دائما. وتاريخ العلوم جدل بين العوائق والقطائع ردا على النظرية الاستمرارية أو على أصحاب الثقافة الإتصالية مثل اوغست كونت ذو النظرة التراكمية التطورية للعلم كل حقيقة تنضاف للأخرى.

يتسم العقل العلمي بالمراجعة النقدية قصد صياغة معارف مفسرة للظواهر وقريبة منها. يحث باشلار أن يبدأ بتحرير عقله العلمي من العقبات الإبستمولوجية إذا أراد صياغة علمية حقة.

لكن لا توجد قطيعة ابستمولوجية حاسمة ونهائية، فلكل فترة من تاريخ المعرفة العلمية عوائقها، وعند الحديث عن قطيعة ابستمولوجية داخل فكر علمي، يجب الإستناد إلى نتائج العلم الأنشتايني وأعمال العلماء الميكروفيزيائيين الكبار المعاصرين على غرار الالماني هيزنبرغ واضع اللاحتمية وننوه بقيمة وأهمية الإسهام والخدمة التي قدموها للعلم ليس الفيزياء فقط بل في جميع حقول المعرفة والفكر. النتائج التي وصلت إليها العلوم أحدثت تغيرات من اهمها عدم وجود معيار نموذجي وكلي للمعرفة، بما أن الفكر لا يمكن أن يحيط بكل خبايا الوجود والكون الواسع. "نقول حتى لو كانت أفضل نظرية ممكنة وصلنا إليها في لحظة معينة صحيحة فإننا لن نكون قادرين على معرفة ما إذا كانت كذلك وكل ما يمكن أن نؤكده في

[124] – نفس المرجع السابق، ص 54.

[125] – نفس المرجع السابق، ص 47.

أفضل الاحوال، هو ببساطة أنه متفوق، من وجهة نظر تفسيرية"[126]. اعتمد على التحليل النفسي في تحليل المعرفة الموضوعية وفي دراسة صور العوائق حيث المكبوتات العقلية للعالم تعيق الوصول إلى الحقائق. "لهذا السبب العلم ليس موقفا بسيطا للعالم، ولكن اولا، شرط أو مطلب للمعرفة".

2- حدود المعرفة العلمية عند إدغار موران: 1922

هو فيلسوف الفكر المركب يربط العقل بالمنهج القائم على الحساب والمنطق، ويمكن اقران رؤيته للنظرية العلمية وموقفه من المنهج والمعرفة.توجد الحاجة الماسة لسد الفجوات بين العلوم وكذا البحث في أصول العلوم والافتراضات والمبادئ التي بنيت عليها وتلك المهام ملقاة على عاتق الفيلسوف هو المعني بها وهو الأقدر على تناولها بنظرية العقلية وما فيها من عمق وشمول "اكتسبنا معارف هائلة حول العالم الفيزيائي والبيولوجي والبسيكولوجي والسوسيولوجي. أعطى العلم الغلبة شيئا فشيئا وعلى نطاق واسع، لمناهج التحقق الإمبريقي. ويبدو أن أنوار العقل تكبت في الأعماق الدنيا للروح عدة أساطير وظلمات.

ومع ذلك، يتقدم الخطأ والجهل والعمى في كل مكان في نفس الوقت الذي تتقدم فيه معارفنا"[127]. في هذا العصر الذي صار فيه العلم حقيقة معقدة كمعلومات وطرق عمل نجده يتحدث عن الفكر المركب والتعقيد هذا الأخير كفكرة كانت شائعة من قبل "في الواقع، كان للتعقيد أيضا للتعقيد أيضا مجاله الخاص داخل الفلسفة، لكن من دون استعمال نفس اللفظ، كان هذا المجال بمعنى من المعاني هو الجدلية"[128]. لا نأخذ بربط العلم بالتبسيط المنطقي بل التواصل بين ما كان منفصلا.

أما فيما يخص العلم الذي يدعو إلى وحدته وعليه فإن وجهة النظر إلى العالم لن تكون، حسب إدغار موران، سوى واحدة من بين آخر تحتاج إلى فكر التعقيد كي تتمكن من الحوار المنطقي مع باقي وجهات النظر. أي تحتاج إلى وجهة نظر فوقية تمكنها من إدراك موضعها بين غيرها، يعبر عن التناقضات ويطرح اشكاليات ويدعو إلى التفتح على العلوم وعدم الخضوع للفكر المبسط ويقصد هنا المثالية والعقلنة وفي الواقع الفكر المركب هو نسق مفتوح وفيه دعوة إلى وحدة العلوم في إطار التنوع الذي تتميز به وهذا ما

---

[126] - Jean-pierre Changeux, La Vérité dans les sciences, Collége de France, Odile acob, Paris, 2003, p7.

[127]- موران، إدغار، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2004، ص 13.

[128] - نفس المرجع السابق، ص 36.

يكون عليه المستقبل. "ومع ذلك، كان التعقيد قد ظهر في العلم حتى قبل أن يعلن عن اسمه في القرن العشرين في الميكروفيزياء والماكروفيزياء".

"ان الحالة الراهنة للعلم وضعت هذا المنطق في أزمة البحث عن أنماط تفكير مختلفة وأكثر تطابقا معه ولا يستبعد ضرورة تعدد المناهج، لذا يقول: "منذ عشرين سنة مضت كان من النادر جدا أن تشعر العقول بأن المعارف العلمية تتعلق بالكون كله وأن تتوقع أن المبادئ المتحكمة في هذه المعارف تخص كل المعارف".

"يدعو للإبتعاد عن الاختزال، ما يجعل فكرة التعقيد ضرورة استمولوجية، أي تصورا جديدا يتجاوز ويدمج التصورات السائدة..."". "وهكذا تكون ازمة المعرفة المعاصرة، في نظر موران، أزمة فكر، لذا يدعونا إلى اصلاحه من أجل الإنتقال إلى براديغم جديد، الأمر الذي يستلزم التسلح باستمولوجيا معقدة أيضا..."بتقدم العلم تتعقد أكثر الحقائق والتي ينبغي لها أن تتجه نحو الدقة حيث تصبح وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للروح العلمية المعاصرة وعجلة التحولات الكيفية في تسارع نحو المزيد من الإنفجارات التقنية.

الإبستيمولوجيا تستند على نظريات معاصرة (نظرية المعلومات، نظرية السيبرنتيقا ونظرية الأنساق) كما يرى موران. الأمر إذن يستدعي فلسفة جديدة للعلم وبنيته المتوقعة، فحسب اطروحته "إن الإبستمولوجيا في حاجة إلى ايجاد وجهة نظر تكون قادرة على النظر إلى معرفتنا الخاصة كموضوع للمعرفة، أي ميتا–زاوية نظر، كما هو الشأن في الحالة التي تتشكل فيه لغة واصفة من أجل تمثل اللغة التي أصبحت موضوعا"[129].

"ان مشكلة العلم، كموضوع للتفكير الفلسفي، تطرح أكثر من أي وقت مضى، ذلك أن العلم بما هو كذلك، إشكالي، إن شئت قلت، إن العلم سلطة معقدة، شكل مميز واق من العقلانية، لكنه لا يدمج الذات المفكرة"[130].

"ان العلم ينتج نفسه بنفسه، وهو لا يفعل ذلك في مجال مغلق بل ضمن شروط تاريخية مضبوطة ودقيقة"[131]. ويشير الى تصديه للوثوقية فرغم الإمكانيات الكبيرة التي أصبحت توفرها ثورة المعرفة وعلوم الإتصال وغيرها

---

[129] – موران، إدغار، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ص 47.

[130] – موران، إدغار، هل العلم بدون وعي مدان؟ تر: محمد فرطميسي، الدار البيضاء، فكر ونقد، السنة الرابعة، العدد 38، أفريل 2001، ص 134.

[131] – موران، إدغار، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

ينظر إلى العلم بعين الريبة كون التثوير كان وراء زعزعة الحقائق التي كانت تعد مطلقة، فالعلم غير اتجاهه لأن فكر الإنسان قد تغير.

وعن الإنجازات الكيفية وكذا العلاقة بين العلم والتقنية والتي هي بدورها في تقدم دائم ونحو الدقة أكثر فأكثر حسب موران "والعلاقة بين العلم- بهذا المفهوم- والتكنولوجيا وثيقة، حيث أن العلم هدفه البحث عن النظريات والقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية من أجل فهم الكون، بينما التكنولوجيا تتمثل في ايجاد التطبيقات المرتبطة بهذا البناء"[132].

اليقين التقريبي لدى هانس ريشنباخ Hans Reichenbach 1893-1953

لقد مهد تفكير القرن التاسع عشر لظهور نظريتي النسبية والكوانتية، وسببتا ثورة علمية حقيقية ساهم فيها الفيزيائيون، البيولوجيون، الرياضيون والسيكولوجيون. هو فيلسوف ومنطقي ألماني معاصر، من مؤسسي حلقة فيينا، حاصل على الدكتوراه في الاحتمالات، الى جانب، "نشأة الفلسفة العلمية"، له من الكتب، "فلسفة الزمان- المكان"، "أهداف ومناهج"، "أهداف ومناهج المعرفة الحديثة"، " المعرفة الفيزيائية"، "بديهيات حساب الاحتمالات"، "منطق الإحتمالات"، "الخبرة والتنبأ"..لقد درس المنطق الإحتمالي ذا العدد اللامتناهي في القيم.

درس الظواهر الطبيعية وعن مناهجها وعن القوانين التي يخلص العالم إليها "العبارات العلمية عن العالم لا تتساوى في المعنى بالعبارات الحسية التي تصفه"[133]، يرى أن المعرفة تقريبية احتمالية لا قطعية، إذ لا يوجد بناء نهائي للمعرفة في أي فرع من فروع أو تخصص من التخصصات العلمية.

أحد الوضعيين المناطقة المتأثرين بالنظرية النسبية ذات الصدى الكبير والعميق على الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، وهو يرفض اليقين المطلق ويؤكد على النسبية أو على الصدق التقريبي"، عمل على تقييم الأثر الفلسفي لنظرية النسبية والآلية الكمية.. نافيا اليقين المطلق ومقرا بالإحتمال وحده دون غيره".

---

[132] – موران، إدغار، تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، تر: حسين شريف، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 2001، ص ص 163-164.

[133] – الحنفي عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، أ.ض، ص 643.

فالعلوم تقوم على المشاهدة والملاحظة وصياغة العلاقات في قوانين رياضية وعن أهمية النظرية في العلم فريشنباخ هنا يربطها بما سيستجد في المستقبل فهو من القائلين بمحدوديتها وكأن القوانين هي أجزاء فقط من الحقيقة لكنها لا تمثل الحقيقة الكاملة.

العلم وليد بنيته التي تتكون أيضا من محدداته الذاتية والتي تنتمي الحقيقة إليها ولا تنتمي فقط للموضوع الذي تقدم عنه المعرفة. فالخطاب العلمي لا يمكن بناء على ذلك اعتباره متطابقا تماما مع الوقائع المادية ولا انعكاسا تاما لها والعلماء يحرصون على تحقيق أكبر قدر من الموضوعية لكن يتوصلون إلى معارف ظنية الثبوت عرضة للنقد والتغيير.

المحور الثالث: التطور المعرفي لعلم السياسة

يتم التعامل مع هذا المحور وفق أربعة مداخل متباينة مترابطة في نفس الوقت في منظورها لعلم السياسة كحقل أكاديمي، بداية بمدخل مفاهيمي، أهم الاقتراحات وتطور منظورها لعلم السياسة، ثم المدارس الكبرى لدراسة علم السياسة، وأخيرا النزعات الكبرى لتقسيم المنظورات حول علم السياسة. قصد الإلمام أكثر حول الموضوع والاكيد على قوة أو ضعف الافتراض القائل بأن علم السياسة تخصص علمي قائم بذاته ويتطور حسب سياقات تطور العلم من جهة، والظاهرة السياسية من جهة أخرى، ليقترب أكثر فأكثر من فهم وتفسير ودراسة الواقع دراسة علمية إلى أبعد الحدود وفق نماذج معرفية متماسكة، وإلى أي مدى يمكن اعتبار علم السياسة خاضع للثورات العلمية المختلفة؟

1- تعريف علم السياسة:

ما هو علم السياسة؟

يناقش تعريف علم السياسة والطرق المختلفة التي حاول من خلالها العلماء فهم هذا العلم. فإذا حاولنا تعريف علم السياسة بشكل رسمي ودقيق فسوف نواجه ذلك النوع من المشكلات المرتبطة بصعوبة تعريف العلوم العلمية، مثل: الفيزياء والكيمياء، ونوع آخر من المشكلات هو اعتبار السياسة نشاطا بشريا أو باعتبارها نشاطا أكاديميا، أو باعتبارها علم سياسة أو علوما سياسية كما هو الحال في الولايات المتحدة.

هو علم الحكم وفنه، وهو العلم الذي يتعامل مع شكل الدولة وتنظيمها وإدارتها أو جزء منها طبقا لقوانين هذه الدولة، فضلا عن تنظيم علاقاتها بالدول الأخرى. (Shorter Oxford English Dictionary)... وسيلة لحكم المجتمعات المنقسمة على نفسها من خلال نقاش حر ومن دون عنف غير مبرر. (Bernard Crick, 2001) ....من يحصل على ماذا وكيف ومتى (H.Lasswell, 1936). الإنسان يحرك الإنسان (Bertrand de Jouvenal, 1963) . التخصيص السلطوي للقيمة (David Easton, 1979).

السلطة:

انتاج التأثيرات المرجوة. (Bertrand Russell, 1938) ... هي امكانية تولي أحد الفاعلين داخل علاقة اجتماعية منصبا يستطيع من خلاله تنفيذ إرادته الخاصة على الرغم من المقاومة بغض النظر عن الأساس الذي تنشأ عنه هذه الإمكانية (Max Weber in : Gerth and Mills, 1948)... القدرة على تعبئة موارد المجتمع لبلوغ الأهداف التي يتم من أجلها القيام بتعهد علني عام. (Talcott Parsons, 1957)... قدرة طبقة اجتماعية على تحقيق أهداف مصالحها المحددة. (Nicos Poulantzas , 1973).

تتسم معظم تعريفات علماء السياسة في هذا المجال بأنها أوسع نطاقا بكثير من التعريفات التقليدية السابقة التي تركز على الدولة فحسب. والواقع أن هذه التعريفات تؤيد وجهة النظر التي ذكرناها آنفا، وهي أن السياسة هي أن السياسة هي الممارسة الإجتماعية للسلطة، وليس من قبل الدولة وحدها. وقد يجادل علماء الإجتماع بأن تعريف "الإنسان يحرك الإنسان" هو أكثر ملائمة بإعتباره تعريفا يتناول اهتماماتهم.

وعلى الرغم من ذلك، يجدر اعتبار وحدة التحليلات التي صيغت فيها هذه التعريفات. فيبدو أن كل من فيبر ولاسويل ودو جوفينال يفكرون في المقام الأول من منطلق الأفراد الذين يمارسون السلطة، بينما يركز كريك وبارسونز على المجتمعات بأكملها، بينما يتحدث قاموس اوكسفورد عن الحكومة، في حين يرى بولانتزاس بأن الطبقات الإجتماعية هي "الفاعل" السياسي الرئيس. ويعكس انقساما بين النظرتين الفردانية والجماعتية.

حسب موريس دوفيرجير إن: "الإله يانوس ذا الوجهين هو الصورة الحقيقية للسلطة". (Duverger, 19: 1972)، بمعنى أن الخلاف والإجماع عنصران أساسيان لخلق حالة سياسية.

وهكذا فإن علم السياسة يشتمل على مجموعة كبيرة من الحالات التي تتفاوت فيها أهداف الناس، ولكنهم يعملون فيها معا لتحقيق الأهداف المشتركة، كما أنهم يتنافسون عندما تتعارض تلك الأهداف. ومن الممكن أن يتضمن هذا التعاون والتنافس بعض المساومة والمنازعة والإكراه. وغالبا ما يهدف علم السياسة إلى معرفة إمكانية التحالفات بدلا من الخصومات بين المجموعات المختلفة.

منهجيات دراسة علم السياسة:

تتنوع المنهجيات التي يتبناها الكتاب الأكادميون لدراسة علم السياسة، يمكننا التعرف على طيف من الإتجاهات في الكتابة من الفلاسفة الكلاسكيين، مثل أفلاطون وأرسطو، مرورا بعلماء الإجتماع الراديكاليين، ألأى علماء الإجتماع المعاصرين، الذين يستخدمون الإختبارات الإحصائية المهمة في تحليل كميات هائلة من البيانات المحوسبة، مثل روبرت دال. أما المشكلة المرتبطة بذلك، والتي تشكل "احباطا" هي صعوبة تجميع الإستنتاجات التي يتم الحصول عليها من هؤلاء الكتاب المتنوعيين لتشكيل قاعدة معرفية محددة تمثل وجهة نظر عالم السياسة فيما يتعلق بالسياسة. لذا المطلوب من الدارس وطالب علم السياسة غربلة العديد من المصادر المتنوعة ذات الصلة. لأن الأساس هو اختلاف الكتاب حول منظورهم لعلم السياسة اختلافا جذريا. وكذا اختلاف المدارس الفكرية التي ينحدرون منها.

يتعامل "العلماء التقلديون" مع الأمور السياسية بشكل تدريجي بدراسة دولة معينة أو مؤسسة سياسية ما أو مفهوم نظري محدد أو كاتب ما بشكل متعمق عادة بأدوات وأفكار مسبقة عن فرع من فروع المعرفة الأكاديمية، وخصوصا التاريخ والفلسفة (هي ميزة تدريس علم السياسة في بريطانيا عموما في وقت قريب نوعا ما) مع امكانية دراسة فردية للمؤسسات السياسية البريطانية في سياقها التاريخي أو في الفلاسفة السياسيين العظماء "الحكومة المقارنة" حسب الكاتب هي تسمية خاطئة.

وعند مقارنة مجلتين رائدتين أمريكية وبريطانية، نجد أن 91% من مقالات المجلة البريطانية الرائدة "الدراسات السياسية" (Political Studies) تركز على الموضوعات المؤسسية والوصفية والفكرية والفلسفية _منها الفكر السياسي–، في حين أن 74% من مجلة "العلوم السياسية الأمريكية" (American Political Science Review) تتناول الخيار السلوكي/الإمبريقي أو الإستدلالي/العقلاني (Norris, 1994 :15). أما في أوروبا القارية فغالبا ما كان علم السياسة يعتبر جزءا فرعيا في أقسام أو كليات الحقوق أو علم الإجتماع أو التاريخ.

لذلك يقدم المنهج الأمريكي علم السياسة باعتباره مجموعة من العلوم الإجتماعية المترابطة تشتمل على الإجتماع، والإقتصاديات وتستخدم أساليب كمية/ محوسبة "تحليل علمي للبيانات".

لكن "النقاد المحافظون" لا ينكرون الحاجة الى استنتاج تعميمات مفيدة من دراسة علم السياسة الأمريكي فقد نددوا بالإنحياز المحافظ الى العلوم السياسية المهيمن عليها أمريكيا. وغالبا ما بدا أن ولاءهم لم يكن في المقام الاول لفرع المعرفة الأكاديمية، بل لمذهب عام يدعو ألى تغيير جذري للمجتمعات –الغربية– الحالية.

علم الإجتماع والسياسة:

لا يمكن من الوهلة الأولى انكار الإفتراض القائل بأن معرفتنا بالسياسة يجب أن تكون مستمدة علميا. فتطبيق الأسلوب العلمي في المجالات الأخرى، مثل الفيزياء والكيمياء الحيوية، والفلك لم يؤد فقط الى اجماع واسع على حقيقة الكثير من "القوانين" العلمية، بل حقق كذلك نتائج عملية في صورة صناعة سفن الفضاء وعقاقير "معجزة". وإذا كان بالإمكان تطبيق الملاحظة المنهجية والتحليل البياني المحوسب واختبار الفرضيات من خلال التجربة واستخدام الطوب الصغير لبناء صروح ضخمة من المعرفة في مجال ما، فلماذا لا يطبق في مجالات أخرى؟ وبما أن البشر في هذا المستوى من الجهل حول طبيعة علم السياسة، فإن انشاء علم السياسة من أكثر المهام الفكرية الحاحا في وقتنا الحالي.

من المغري جدا تجاهل مشاكل صراع القيم واعتبارها لا تتعلق بالبحث العلمي. فالحجة التقليدية في هذا الصدد هي أن العلم حيادي (خالي من القيم)، وأنه يمكن استخدامه في الخير أو في الشر.

هناك مشكلة أخرى في تطبيق التحليل العلمي في المجال السياسي/الإجتماعي، وهي مشكلة تعقيد الظواهر التي تخضع للدراسة. فحتى الآن حقق الأسلوب العلمي نجاحا كبيرا حين تطبيقه في الأنظمة الفيزيائية، بينما حقق نجاحا أقل في الأنظمة البيولوجية التي تتكون من أنظمة مادية. كما أنه حقق نجاحا محدودا جدا في الأنظمة السيكولوجية البشرية التي تتكون من أنظمة بيولوجية. لذلك من غير المدهش أن تكون الأنظمة الإجتماعية التي تتكون من نظام ذي مستوى عال من التعقيد أكثر مقاومة للتحليل.

نموذجيا، يتميز العلم بأنه يقوم على اختبار الفرضيات عن طريق التجربة. فالأسلوب التجريبي مغلق بشكل كبير أمام علماء السياسة، إذ إنهم لا يملكون السلطة لإملاء كيفية التصرف على جميع المجتمعات الإنسانية، وعلى اي حال فالتجارب تتطلب وجود مجموعات متطابقة يمكن التحكم فيها من أجل اجراء مقارنة بينها، وهو أمر لا يمكن القيام به. ومع ذلك فقد اجريت بعض المحاولات للقيام ببعض تجارب المحاكاة المخبرية على نطاق صغير لبعض حالات السلطة البشرية التي حققت بعض النتائج المثيرة) مثلا: ميلغرام (Milgram, 1965) ولكن امكانية تطبيق النتائج هذه على المجتمع بأكمله هي محل جدل. ويمكن استبدال المعالجة الإحصائية لمجموعة من البيانات الخاصة، بشكل جزئي، بالمجتمعات الإنسانية وبالتقنيات التجريبية، غير أنه تم جمع القليل من البيانات المقنعة. وتشتمل بعض المحاولات التي اجريت في هذا الصدد كتاب الدليل العلمي للمؤشرات السياسية والإجتماعية (Taylor and Jodice, 1983) ومؤشرات الدولة لمشروع

السياسة الخارجية في جامعة كارلتون، كندا. ومن أكبر المشكلات الأساسية هي أن عددا من الدول لا يوجد لديها احصائيات سكانية موثوق فيها.

أما على المستوى الفلسفي، فقد كان يقول بعضهم إن نوع التفسير السببي الذي من الممكن أن يكون مرضيا بشكل تام في علم الفيزياء سيكون غير مرض في تفسير الظواهر الإجتماعية- تحتاج التفسيرات الإجتماعية الى تفسير دوافع الأشخاص المشاركين، وليس فقط بنجاح عما سيحدث (Runciman, 1969). بالإضافة إلى ذلك، إذا قبلنا أن المعرفة الإنسانية والدوافع البشرية تمثل جزءا مهما من كل نظام سياسي، فمن الممكن أن يصبح أي تقدم في المعرفة السياسية متاحا لجميع أفراد الأنظمة التي ندرسها. لذلك من الممكن أن تصبح المعرفة التي ننتجها بتحليل الأنظمة السياسية جزءا من هذه الأنظمة، ويمكن أن تشوش أيضا على أي تنبؤات نقوم بها حيال هذه الأنظمة (Popper, 1960)

2- اقترابات تقليدية لدراسة علم السياسة:

من الضروري الوقوف على ملاحظة منهجية، أنه يتم التعبير عن المرحلة التقليدية في مجال علم السياسة والسياسة المقارنة، للتعبير عن مرحلة ما قبل المدرسة السلوكية، -هذا يُحيلنا إلى أهميتها واعتبارها ثورة سلوكية وليس مجرد مرحلة من تطور علم السياسة-. وأهم ثورة تمثلت في بداية تشكل معالم استقلال علم السياسة عن المباحث والعلوم الأخرى، أهمها الفلسفة، القانون، التاريخ وعلم الإجتماع، والتوجه نحو العلمية. وقد رصد محمد نصر عارف في كتابه، **"ابستمولوجيا السياسة المقارنة"**[134] أربعة عوامل كبرى لتلك المرحلة:

1- مثلت أعمال مونتسكيو وماركس وماكس فيبر مصدرا مستمرا للعديد من المفاهيم والمشاكل البحثية، بالتركيز على المنهجية التاريخية في التحليل السياسي واتجاهها التطوري رد فعل، تمثل في ظهور اقترابات المرحلة التقليدية، المؤسسي والقانوني والمثالي، وبالرغم من أهمية المفاهيم التي أفرزها هؤلاء الرواد كالطبقة والعلاقة بين الدولة والمجتمع، وبين السياسة والإقتصاد، وبين السياسة والثقافة والدين، وعلى الرغم من أن دراساتهم شملت مساحة واسعة من التجارب البشرية، إلا انها كانت قليلة الفائدة في خلاصاتها النظرية، وفي تكنيكات استخدامها للمعلوماتفلم يبق منها إلا التأثير الأيديولوجي لمفكريها ونظرياتهم، أما أطرها التحليلية

[134] – محمد ناصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي- النظرية- المنهج. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002. ص 199.

واقترابا‌تها الكلية المؤسسة على النموذج التاريخي والتطوري، والقائمة على الملاحظة العشوائية غير المنظمة، والتأمل التاريخي، فلم يعد لها مكان في ظل بيئة فكرية بدأت تسيطر عليها المدرسة الوضعية المنطقية في العلم، والتعددية الفلسفية في السياسة، والقومية في الفكر الإجتماعي.

2- ظهور المدرسة الوضعية المنطقية في الفلسفة، وبروز مفهوم جديد للعلم يسعى لأن تتحول العلوم الإجتماعية إلى حقول معرفية منظبطة تبنغي الدقة والوصول إلى تعميمات علمية صحيحة، وقد أدى ذلك إلى ترك المقارنات الكونية والتركيز على البحث المحلي المحدد والدقيق، مثلما يحدث في علم الإجتماع.

3- على الرغم من أن هناك من علماء السياسة من يرىأن توسع الدول التي ينتمي إليها علماء وياحثوا السياسة المقارنة إلى توسيع إطار المقارنة والوحدات الداخلة فيه، من جهة أخرى، **لم يؤد التوسع الإستعماري للدول الأوروبية إلى توسع نطاق حقل السياسة المقارنة، وتم اعتبار دراسة المجتمعات والدول غير الأوروبية خارج اهتمام علم السياسة**، -وهي ملاحظة مفتاحية تحليليا وفكريا، معبرة عن انغلاق المركزية الأوربية على نفسها وهذا لا علمي- الذي يركز على الدولة القومية بالمفهوم الأوروبي، وداخل اهتمامات الأنثروبولوجيين والرحالة والمنصرين ورجال الاستخبارات[135].

4- على الرغم من أن علم السياسة قد تطور في الولايات المتحدة في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كحقل متميز في العلوم الإجتماعية إلا أن السياسة المقارنة كانت الفرع الأصغر داخل علم السياسة. لقد كان من الطبيعي أن يكون الإقتراب القانوني أو المؤسسي هو الأكثر استخداما في أوربا قبل الحرب العالمية الأولى، لأن علم السياسة في أوروبا وقتذاك كانت جزءا من القانون، لذلك عندما قام كل من كارل ويستان وكارل فريديريك اللذان تدربا في حقل القانون بنشر دراسة في أوروبا تُحلل القوى الإجتماعية والسياسية، اعتبرها

[135] -Hitchener, Bell Gilletteand Levise, Carol. Comparative Government, and Politics. New York, Dodd Mead and Company, 1967. P.5. in محمد نصر، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص 200.

الباحثون الأوروبيون دراسة في علم الإجتماع أكثر منها في السياسة، وعندما ترجمت ونشرت في الولايات المتحدة تم النظر إليها على أنها قانونية أكثر منها سياسية.

لقد استمر الإتجاه المحافظ في اعتبار علماء السياسة على أنهم مؤرخوا الحاضر، فدراسة الأحزاب والمؤسسات والفكر السياسي، بل وحتى العلاقات الدولية كانت تتم بصورة تاريخية. وقد امتد هذا التقليد وظل موجودا في بعض الجامعات الأمريكية حتى ستينيات القرن الماضي، حيث اعتبر التاريخ وعلم السياسة كقسم واحد يحمل مسمى مزدوج.

3- ثلاث مدارس فكرية لدراسة علم السياسة

أولا: المدرسة المثالية الرشيدة Rationalist Idealism

المثالية أو الطوباوية لها تاريخ عريق في الفكر الإنساني، وترجع وتبدأ أصولها مع آباء الفلسفة الأوائل منذ أفلاطون، والمثالية وفقا لتصنيف الثنائيات المتناقضة فهي لها عدة أشكال، فمثلا في الميتافيزيقا، المثالية تعني أن الإيمان هو السبيل الوحيد لمعرفة الواقع، فالمفاهيم الميتافيزيقية والإبستمولوجية للمثالية تجتمع في شكل واحد هي الأفكار، كما أنها في ثنائية أخرى تناقض المذهب المادي والفيزيائي، وفي حقل علم السياسة فإن المثالية تناقض المذهب الواقعي، ولذلك فهي تضم جملة من المفاهيم على شاكلة: التصورات البنيوية، القوانين، المبادئ، الأخلاق، المعايير القيمية...، وهي كمذهب فكري سياسي تبحث دائما فيما هو كائن.

والمثالية في علم السياسة لا تطلق من باب المديح، فالمثاليون أغلبهم منفصلون عن التفكير القائم ويضعون المبادئ الأخلاقية قبل الاعتبارات العلمية ، ولا يتصلون إلا قليلا بالعالم المحيط بهم، وهم يرمون إلى بناء عالم مثالي خال من التناحر والصراعات كما يؤمنون بالتقدم ويرون أن آليات الديمقراطية، والنقاش تحت حكم القانون، ووفقا لإلتزام أخلاقي، وهو السبيل الوحيد للممارسة السياسية السليمة، وذلك لاعتقادهم بأن ما يجمع البشر أكثر مما يفرقهم، ويرى البعض أن المثالية هي نتاج مجموعة معينة من الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية، وليست مجموعة قواعد أخلاقية خارجة عن الزمن ومكرسة من أجل أهداف كونية،

والدليل أنها حينما واجهت مشكلة سياسية ملموسة، لم تتمكن من إيجاد معيار مطلق ومجرد من كل مصلحة من أجل إيجاد الحلول للمشاكل القائمة[136].

تتلخص أسس التحليل السياسي حسبها في الافتراضات التالية:

أ- الاعتقاد الجازم بحتمية انتشار المؤسسات الديمقراطية.

ب- التجانس الكامل في المصالح بين الشعوب.

ت- الأساس الرشيد للسلوك الإنساني.

اهتمت هذه المدرسة بدراسة المؤسسات الوطنية، الأبنية الدستورية، والتنظيمات السياسية بصورة مستقلة عن الفلسفة والتاريخ والإقتصاد والقانون العام، واعتمدت منهجيتها على الوصف والسعي لتقديم النصح والإرشاد.

وتعتبر هذه المدرسة ردة فعل مباشرة لحالة علم السياسة السابقة في إطار الفلسفة والتاريخ والاقتصاد، وفي تلك الفترة لم يكن علم السياسة قد ترسخ بصورة كاملة في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما كانت هناك حالة مثاقفة عبر الأطلنطي، حيث كان علماء السياسة الأمريكيون متأثرين إلى حد كبير بالأكاديميين الأوروبيين، خصوصا الألمان. وقد ترتب على نقل الإطار الألماني التجريدي المحدد إلى العقلية الامريكية البراجماتية، حدوث نوع من التوتر ثم التوازن القائم على مفهوم الرشادة وقد انتهت هذه المدرسة أو المرحلة بصدمة الحرب العالمية الأولى، والتي أثبتت خطأ الافتراضات السابقة لهذه المدرسة[137].

وتطور علم السياسة طغى عليه الطابع الفلسفي والمثالي منذ البداية، وبشكل واضح منذ العصور الكلاسيكية وحتى بداية العصور الحديثة، حيث كان ينظر للسياسة طوال تلك الفترة على أنها حقل معياري وأخلاقي، وبالتالي كانت مرتبطة بفرع الفلسفة الأخلاقية، وكما هو حال معظم الفكر الكلاسيكي لم تعر الدراسات السياسية اهتماما كبيرا بالمسائل الإمبريقية، حيث انصب معظم اهتمام المفكرين السياسيين على ما ينبغي أن يكون بدلا مما هو كائن، وكان من أهم المواضيع التي حظيت باهتماماتهم هي طبيعة الدولة المثالية، والعلاقة المناسبة بين الأهداف الإنسانية الميتافيزيقية، والغايات المطلقة للحياة السياسية، إلا أن

---

136 – مارتين غريفيش، وتيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص 361-362.

137 – محمد نصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، مرجع سابق، ص 202.

هذا لا يعني انعدام بعض الدراسات الجادة، فالمثالية حتى وإن تمسكت بأن الواقع يتأسس من خلال الفكر، الروح، وبعض الذاتيات غير المادية، إلا أنها وضعت الكثير من الأسس التي تتبناها الحياة السياسية اليوم، فقد اشتد طلب علماء السياسة وحتى السياسيون أنفيهم على ضرورة التمسك ولو نسبيا بقيادة بعض المعايير القيمية والأخلاقية للتنظيم السياسي ولصنع القرار، لخلق مسافة معينة بين العالم غير الكامل وبين ذواتنا وطبائعنا كبشر[138]. وتلتقي المثالية مع اليوتوبيا في أن كلاهما يؤسس لمجتمع كامل ومثالي، حتى وإن كانت مثالية وضعية فإنه من الصعب جدا تطبيقها على أرض الواقع[139].

ثانيا: المدرسة الوضعية المادية Material Positivism

الوضعية عبارة عن حركة فلسفية تتميز بتشديدها على العلم والمنهج العلمي بصفتهما مصدر المعرفة الوحيد، كما أنها تُميز تمييزا قاطعا بين عالم الحقائق وبين عالم القيم، والوضعية في معناها الواسع النطاق، موقف ينطوي على الفكرة القائلة إن هدف المعرفة هو ببساطة وصف الظواهر التي نختبرها، وهدف العلم الإلتصاق بما نلاحظه ونقيسه[140]. ومن وجهة نظر الوضعية يُعتبر العلم عبارة عن وسيلة لبلوغ الحقيقة، لفهم العالم فهما كافيا يمكن التنبؤ به والتحكم فيه، فالعالم والكون حتميات يخضعان لقوانين السبب والنتيجة التي يمكننا تبنيها إذا طبقنا مقاربة المنهج العلمي الفريدة. ويؤمن مؤيدو الوضعية بالمذهب التجريبي، وهي الفكرة القائلة إن الملاحظة والقياس يؤلفان جوهر العلم، ويبقى الإختبار المقاربة الرئيسية للمنهج العلمي في محاولة لتبين قوانين السلوك[141].

ارتبطت الوضعية بمؤسسها "اوغوست كونت" " Augoust Comte" الذي أسس لنزعة عقلية بسيطة وفقا لإرادة واعية ترتكز على إرادة الأخذ بالوقائع وعدم تجاوزها أبدا، وأن العلوم الإختبارية هي التي تمدنا بنموذج اليقين بواسطة اكتشاف وبلوغ العلاقات والقوانين التي تحكم الوقائع[142]. وحسبه، فإن تاريخ العلم

---

138 - The Encyclopedia of political science, (Thomas George Kurian, and others), op.cit, p 755.

139 - Thomas Magstads, Understanding Politics : Ideas, Institutions, and Issues, op. cit, p 71.

140 - مارتين غريفيش، وتيري أوكالاهان، ص 456.

141 - مارتين غريفيش، وتيري أوكالاهان، نفس المرجع السابق، ص 457.

142 - موسوعة لالاند الفلسفية، (أندري لالاند)، المجلد الأول A-G، مرجع سابق، 1002.

قد مر بثلاثة مراحل: المرحلة الثيولوجية، المرحلة الميتافيزيقية، وأخيرا المرحلة الوضعية. وهي مراحل في تطور مستمر وفق نفس التراتبية حسبه.

والوضعية تميز بين العلوم الإمبريقية والعلوم غير الإمبريقية مثل الرياضيات والمنطق، كما تختلف نظريات وقوانين العلم الإمبريقي عن باقي التصورات الميتافيزيقية، وأن المبادئ العلمية تستند على أسس موضوعية من الخبرة الحسية، أي أن الوضعية تؤسس لميادئ تكشف عن المعرفة ولا تخلقها بالمفهوم الكانطي لإمانويل كانط عن طريق العقل كما كان الوضع سائدا من قبل، وبعبارة بسيطة المعرفة الوضعية تكتسب عن طريق الخبرة والتجربة، أما المعرفة العقلانية الكانطية فيتم خلقها عن طريق العقل. فإذن الإمبريقية هي نظرية تزعم أن إكتشاف المعرفة يتم ويحصل فقط بواسطة التجربة الحسية للعالم، وللإشارة فقد بدأت هذه النظرية مع دافيد هيوم واستمرت في التطور وفي القرن العشرين تمثلت في الوضعية المنطقية "Logical positivism" التي أسستها "حلقة فيينا" سنة 1928 في جامعة النمسا التي ضمت مجموعة من العلماء تشترط فيهم أن يكون الباحث الفلسفي مناصرا للفلسفة التجريبية، وقد أعلنت نفسها للعالم بكتيب عنوانه "نظرة علمية إلى العالم"، وهي تطرح أن كل قضية ذات معنى إما أن تكون متعلقة بوقائع تجربة خارجية، أو تقبل التحليل المنطقي بعيدا عن كل الأطروحات الميتافيزيقية[143]. وأنصار "الإمبريقية المنطقية" هم وضعيون بمعنى أنهم كالعلماء، يريدون للإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أن يقيم علمه على تجاربه وخبراته، وأن يثبت صدق أقواله إثباتا يستند إلى الملاحظة الحسية.

وإذن فلا يجوز له أن يُجاوز بشطحاته التأملية هذه الحدود، بحيث يزعم ما ليس في وسعه أن يستند إلى الخبرة الحسية.

وأطلق مفهوم الوضعية للإشارة إلى الدراسات العلمية في العلوم الإجتماعية، لأن العلوم الطبيعية حتى وإن تطورت في سياق متصل الذي هو التجريبية " Experimentalism"، إلأا أن العلوم الإجتماعية ومن بعدها الفروع التي نشأت إثرها هي التي كانت بحاجة إلى تطبيقات ذلك المفهوم. حيث نجحت الكثير من الدراسات اليوم في العلوم الإجتماعية والعلوم السياسية في الوصول إلى نتائج أثبتت صدقيتها في الكثير من نتائجها، وأصبحت علوما تجريبية بفضل استخدامها للمناهج الإمبريقية، وتم دراسة وبحث العديد من الظواهر الإجتماعية والسياسية التي كان يصعب دراستها بالمناهج التقليدية، فمثلا تمت دراسة الجندرة من

[143] – موسوعة لالاند الفلسفية، (أندري لالاند)، المجلد الأول A-G، مرجع سابق، 1120.

خلال تحليل صور المرأة في الإعلام وفي الثقافة ومن ثم تصنيف المعطيات وفقا لرموز واحصائيات معينة، وكانت النتائج مرضية وتم تطبيقها في الواقع ونجح العلماء في ذلك وقا لقيامهم بالتجربة وليس لغير ذلك[144].

ظهرت وارتبطت هذه المدرسة بتجربة ما بعد الحرب العالمية الاولى، حيث أدى التطور السياسي إلى عكس معتقدات المدرسة المثالية، فلم تنتشر الديمقراطية، بل أصبحت النظم الدكتاتورية والفاشية أكثر إنتشارا، وانهار نسق الأمن الجماعي، وانتشرت السلوكيات غير الرشيدة والأفكار القومية المتعصبة، بصورة جعلت الإعتقاد في رشادة الإنسان وتجانس المصالح بين الناس أمرا خارج حدود المعقول، ومن ثم اتجه عديد الدارسين إلى دراسة القوة المادية.

تقوم افتراضات هذه المدرسة على:

أ- الشك في امكانية الوصول إلى تعميمات سريعة أو مقارنات عريضة أو استقراءات تعم العالم.

ب- التركيز على ظواهر محددة بصورة تفصيلية، محاولة قياس المتغيرات حتى يكون علم السياسة أكثر علمية.

ت- التركيز على المشكلات المنهجية، وتقوية أدوات الفهم والتحليل، وتقديم تكنيكات الاختبار المعملي في دراسة الحالة، مناهج المسح الاجتماعي والتحليل الإحصائي.

لقد ساهم كل ذلك في تضييق حقل السياسة المقارنة واحداث تراكمية في المعلومات تخرج عن إطار علم السياسة، إذ توجهت هذه المدرسة بصورة كلية لخدمة العلاقات الدولية، وجعلها محور الظاهرة السياسية. ما أدى إلى اختفاء السياسة المقارنة بين العلاقات الدولية والإدارة العامة.

وقد انبثقت عن المدرستين ثلاثة اقترابات في حقل السياسة المقارنة:

- التحليل السياسي التجريدي Analysis Abstract Political
- الإقتراب القانوني
- الإقتراب المؤسسي

144 - The Encyclopedia of political science, (Thomas George Kurian, and others), op.cit, p 579.

ثالثا: المدرسة النسبية –المنظوراتية– Relativism

إن تطور الحقول المعرفية والإنتقال من نموذج إلى آخر خاصة في علم السياسة، تلعب المدارس الفكرية دورا محوريا، فلا يكفي الإشارة للمفكرين كأشخاص، بل هناك ضرورة لرصد الأفكار ضمن المدارس والإتجاهات للتمكن من فهم الثبات والتغير.

فعلى الرغم من اكتساب النموذج السلوكي دفعا قويا وهيمنة على علم السياسة والسياسات المقارنة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، إلا أنه تعرض لنفس الإنتقادات التي تعرضت لها المدرسة الوضعية، فتناول الجدل حول طبيعة البحث السياسي بين السلوكية وما بعد السلوكية يجب ان يتم على ضوء تحليل وفهم الصراع الإبستمولوجي الأقدم والأعمق، وترتكز المقولات الكبرى للنسبية على مفهوم أن المعرفة الإنسانية هي معرفة نسبية محكومة بالإطار الزماني والمكاني. وترجع جذورها إلى القرن التاسع عشر ومن الصعب إعطاء عنوان محدد لها فقد سميت بالذاتية "Subjectivism"، والذرائعية " Instrumentalism"، والمنظوراتية " Perspectivism"، والنسبية "Relativism"، والتاريخية "Historicism" التي نمت في إطار الجدل الإبستمولوجي في الفكر الفلسفي الألماني، والتي تتمسك بأن كل الفكر الإنساني يظل افتراضات غير مُبرهن عليها، وأن حقبة معرفية تختلف عن الأخرى[145].

والنسبية ترجع إلى أي مذهب يتمسك بأن المفاهيم والتصورات تُعتبر نسبية بشروط، وأنها غير عالمية التطبيق، لأن المعرفة في كليتها مستحيلة الإستكشاف، وقد تبنى هذه الرؤية عدة مذاهب أخرى كالبراغماتية وبعض العلوم المعيارية، والأنثروبولوجية، وبعض نظريات العلوم الإجتماعية، وفي حقل السياسة المقارنة تمثلت في المدرسة ما بعد السلوكية، وبالمجمل فقد تبنى النسبية وقوى بعض مفاهيمها أنصار ما بعد الحداثة " Postmodernism" [146]. وللإشارة يجب عدم الخلط بين المذهب النسبي "Relativism" في المعرفة وبين نظرية النسبية " Relativity theory" التي جاء بها "أنشتاين" كنظرية فيزيائية[147].

---

[145] - The Encyclopedia of political science, (Thomas George Kurian, and others), op.cit, p 727.

[146] - The Encyclopedia of political science, (Thomas George Kurian, and others), op.cit, p 1448.

[147] – موسوعة لالاند الفلسفية، (أندريه لالاند)، المجلد الأول، A-G، مرجع سابق، ص 1202.

ولقد كان الفهم التقليدي للبحث العلمي والفلسفي يقوم على تصويره بأنه بحث عن الحقيقة من أجل الوصول إلى تصور نهائي ومحدد حول طبيعة الكل الذي يعتبر الإنسان جزءا منه، إلا أن المدرسة النسبية دحضت هذا المفهوم وأعطى الفيلسوف الألماني "فرديريك نيتشه" دفعة قوية للمذهب النسبي الذي يرى أن الحقبة الحديثة لا تتميز بالنهائية أو المطلق في نظرتها حول الإنسان أو العالم، وهو بهذا يتفق مع كوهن في رؤيته حول تطور العلم. وفي السياسة المقارنة، اختلف علماء السياسة المقارنة حول فهمهم للمدرسة النسبية، فالبعض احتضن الفكرة بالكامل، والبعض عارض إلا أنها تجلت بوضوح بعد تراجع النموذج السلوكي، زقد بلغ أحيانا الصراع أشده بين المؤيدين والمعارضين.

وقد تبنى الاتجاه ما بعد الوضعي الأسس التي تتحدى المقولات الكبرى للمدرسة الوضعية التي أودعت مبادئها وركائزها في النموذج السلوكي، لذلك أخذت بمبادئ المذهب النسبي للمعرفة حتى تجعل من البحث السياسي قابل للتطبيق الجزئي بعيدا عن البحث في كلية التصورات فيما يخص حل الإشكاليات السياسية، كما أنها استفادت كثيرا من الاتجاهات الاقتصادية في البحث وكذلك الفلسفة الماركسية، وتمثلت أهم المقاربات التي تبنت النسبية هي مقاربة الاقتصاد السياسي، مقاربة التبعية، التحليل الطبقي، الماركسية الجديدة، ... وهي مقاربات تميزت بالبحث الضيق النطاق، ولم تبحث عن بناء نماذج نظرية كلية تفسر الظاهرة السياسية تفسيرا تجريديا كما هو الامر بالنسبة لنموذج "دفيد ايستون" للنظام السياسي، وهو ما كان سائدا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كانت الدراسات السياسية تُعنى أكثر بالتجريد المفاهيمي لوصف الحياة السياسية[148].

الثورة السلوكية في حقل علم السياسة 1921-1966

تمتد الثورة السلوكية، التي لم تحدث فجأة، إلى فترات ومراحل سابقة، في ظل سيادة المنهجية التقليدية التاريخية الفلسفية القانونية المؤسسية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مثلت نظرية النخبة أولى أشكال الاهتمام بالسلوك والتفاعل السياسي، عوض التركيز الشديد على الوثائق والدساتير والنظم والمؤسسات.

148 - Gunnell, G. John, Handbooks and History: Is It Still the American Science of Politics ?, International Political Science Review / Revue international de science politique, Vol.23, No. 04, (Oct., 2002) , p 341.

هناك من يرى أنه منذ الثورتين، الأمريكية 1776 والفرنسية 1789، أمكن رصد توجهان أساسيان في دراسة التحول الذي حدث في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وأثر الثورة الصناعية وما أفرزته من نتائج، مثل التحضر والهجرة الجماهرية وسقوط الإمبراطوريات القديمة، وظهور الدولة القومية الحديثة. أفرز هاذين التوجهين مدرستين في حقل السياسة المقارنة، أولاهما ركزت على مواجهة تحدي بناء الدولة ومؤسساتها وصياغة دستورها، من خلال إجراء مقارنة بين الدول المجاورة من أجل الوصول إلى نمط أوروبي للحكم. أما الثانية فقد ركزت على الثورة الاجتماعية والحراك الاجتماعي وظهور النخب الجديدة والتحول الديمقراطي للحكومات والحياة الاقتصادية وطبيعة الجماعات السياسية الجديدة مثل الأحزاب وجماعات المصالح ن اعتبروا مدرسة اجتماعية أكثر منه سياسية. تعبر كل هذه الجهود والسياقات عن المرحلة الجنينية للحركة السلوكية، التي نمت وتبلورت لتصل لمرحلة الهيمنة **"المطلقة"** على البحث العلمي في العلوم الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية.

يمكن رصد ستة أهم التحولات التي رافقت تبلور المدرسة السلوكية:

أولا: في أوائل القرن العشرين، دافعت المدرسة الوضعية المنطقية عن رغبتها في الوصول بالعلوم الاجتماعية إلى حالة العلوم الطبيعية، من حيث الدقة المنهجية والتعميمات الكلية والحياد القيمي، في ظل النجاح المستمر للعلوم الطبيعية، ومع علم النفس وعلم الاجتماع إلى نهاية القرن التاسع عشر وجد العقل الوضعي الفرصة مواتية لتطبيق مبادئه في الواقع العملي، خصوصا في علم النفس. تعبر مقالة "جون واتسون" "علم النفس كما يراه السلوكي" عام 1913، ومنه بدأت النظرة السلوكية تحل كنموذج معرفي في علم النفس محل النماذج السابقة، وأصبحت مبادئ المنهج السلوكي مثل **الموضوعية والإمبريقية والتجربة المُتحكم** فيها تمثل القانون المنهجي لكل العلوم الاجتماعية. في الوقت نفسه، كان أرثر بنتلي ممثل الثورة الصامتة في حقل السياسة المقارنة أتت ثمارها في الثلاثينات على يد ديفيد ترومان.

ثانيا: بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وحالة الفشل التي أصابت العديد من الدول الأوروبية، وانتشار النظم السياسية الفاشية والدكتاتورية، أدرك الباحثون عدم جدوى الإقترابات التقليدية وعدم فعاليتها في فهم الواقع وتفسيره، اتجه العديد من باحثي العلوم الاجتماعية في أوروبا إلى الاهتمام بالتوجهات النفسية، مقابل تزايد الإدراك لدى العلماء الأمريكيون بضرورة تبني الإقترابات السلوكية في تحليل الظاهرة الاجتماعية والسياسية، وتحديدا من قبل "الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية" APSA، إذ بادرت لجنة الأبحاث التابعة

لها، وبرئاسة تشارلز مريام، أنذاك، بالدعوة إلى تأسيس مجلس أبحاث العلوم الإجتماعية "SSRC" Social Science Research Council، وقد انظم إلى تلك الدعوة ممثلون من الجمعية الأمريكية للإقتصاد، والتجمع الأمريكي لعلم الإجتماع، والجمعية الأمريكية للإحصاء، وشارك فيها علماء انثروبولوجيا وتاريخ وعلم النفس[149]. وقد تم انشاء SSRC عام 1923، وكان اول رئيس له عالم السياسة الأمريكي تشارلز مريام، وقد اعتبر هذا المجلس كهيئة فوق الجامعات تقوم بالتنسيق بينها لتطوير البحث العلمي، وقد لعب المجلس الدور المحوري والأساسي في تشكيل وصياغة العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم خلال نصف القرن التالي لإنشائهن إذ من خلاله انبثقت أو به ارتبطت معظم الجهود التطويرية في العلوم الاجتماعية ومما ساعد في استمراريته وتركيزه النظري والمنهجي انه استطاع تأمين احتياجاته المالية من خلال تمويل أشخاص وشركات في مجالات مختلفة، خصوصا بعدما تولى رئاسته "بندلتون هيونج"، الذي كان يعمل مديرا تنفيذيا لعدة شركات اقتصادية، وكان يؤمن بأن دور المجلس هو القيام بالهندسة الاجتماعية التي تحقق الرفاهية العامة للمجتمع، باعتبار أن الهندسة الاجتماعية ليست إلا تطبيقا للمعرفة العلمية في تحديد المشاكل الاجتماعية وتفسيرها، ومن ثم فأبحاث التحليل النفسي وقياس الرأي العام ومؤشرات الجدية جميعها تدخل في الهندسة الاجتماعية. وقد كان عالم السياسة الأمريكي تشارلز مريام واحدا من أهم المندفعين نحو تحويل علم السياسة إلى التركيز على دراسة السلوك الواقعي للناس بدلا من تحليل المؤسسات والدساتير وآراء الفلاسفة، وقد كان تلامذته وزملاؤه في المجلس، من رواد المدرسة السلوكية أمثال "هارولد لاسويل"، "غابريال ألموند"، "هربرت سيمون"و"دفيد ترومان"[150].

كما ساهمت الأحداث التي شهدتها كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات في الدفع لإننضاج الإتجاه السلوكي، فالتحليلات العلمية لم تتوقع حدوث الكساد الكبير، تلك المرتبطة بتفكير آدم سميث ودفيد ريكاردو والإنهيار السريع للنظم السياسية في أوروبا، واستخدام القوة في تأسيس نظم نازية وفاشية، ما دفع المفكرين والباحثين إلى البحث عن كيفية تحقيق الإستقرار الإقتصادي والسياسي للعالم الغربي والبحث عن نظرية تسمح بالتنبؤ بمثل هذه الأحداث، لذا تم الإتجاه المكثف نحو **"نظرية النظم"**

149 -Elbridge Sibley, Social Sciences Research Council: The First Fifty Years, (New York, Social Sciences Research Council, 1974) p.3.

150 -Elbridge Sibley, op.cit. 44.

التي قدمها عالم البيولوجيا "ل.س. هندرسون" والأفكار المستمدة من عالمي الأنثروبولوجيا البريطانيين "مالينوفسكي" و"وارد كليف براون" وأعمال "دوركهايم" و"ماكس فيبر" و"تالكوت بارسونز".

ثالثا: برزت المدرسة السلوكية فكريا في بداية القرن، مؤسساتيا في عشرينياته، التحول الأساسي ما بعد الحرب هو إخراج النموذج المعرفي التقليدي تماما من ساحة البحث الأكاديمي، ما أتاح الفرصة لهيمنة السلوكية في مختلف حقول العلوم الإجتماعية. في هذا المستوى يمكن الحديث عن "ثورة سلوكية"، مع إشارة مهمة، هي أن التخلي عن النموذج المعرفي السابق، لا يعني إنتهاء مكوناته، وإنما يعني أنها سوف تدخل في بنية النموذج الجديد، وتستجيب لهيكله ونسقه، حيث أنها جزء من تطور العلم وتراكمه، فمثلا التحليل المؤسسي أصبح خارج دائرة الإهتمام، لكن مفهوم المؤسسة كوحدة تحليلية مهمة أصبح جزءا من مكون أكبر بجانب أجزاء أخرى.

رابعا: دافع الدارسون الأمريكيون عن فكرة الفهم والمعرفة والتحليل والتفسير حول باقي دول العالم، لذا تدفقت الكتب والدراسات عن الدول في جميع شؤونها وجوانب حياتها، وكان الاهتمام منصرفا في البداية إلى الموضوعات الاقتصادية، التكنولوجية، ثم فكرة خبراء المشكلات البشرية والتحكم في السكان وتطوير المجتمع والتعليم، وفي تلك الأثناء اهتم طلاب وباحثوا العلوم السياسية الأمريكية أكثر فأكثر بدراسة سقوط الدول الأوروبية تحت نظم شيوعية وانهيار النظم الديمقراطية فيها، اضافة إلى وجود تعاطف واسع مع كتاب "عملية الحكومة" ل"دفيد ترومان" وكتاب "القون والمجتمع" لكل من "هارولد لاسويل" و"ابراهام كابلان"، وكتاب "النظام السياس" ل"دفيد استون"، وغيرها من الدراسات عن التصويت، كما بدأ تدخل حقل العلوم السياسية مفاهيم ومناهج مستمدة من علم الإجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس، وبدأ التركيز على الأبعاد السلوكية وتجاوز الأبعاد القانونية والمؤسسية[151].

خامسا: تميزت المرحلة كذلك، بإنفتاح العلوم على بعضها البعض، فيما عرف بالدراسات بين الحقول، interdisciplinary، بانفتاح دارسوا السياسات المقارنة على العلوم الأخرى، فرضت ظروف الحرب أن تعمل مختلف التخصصات كفريق واحد، فقد مثلت مكاتب الخدمات الإستراتيجية والعسكرية مدارس للخرجين من مختلف التخصصات كالتاريخ والأنثروبولوجيا وعلم النفس والاقتصاد وعلم الاجتماع، وأصبح

151- Kohn, Melvin, L. ed., Cross-National Research in Sociology. London : Sage Publication, 1989. P.17.

كل واحد من هؤلاء يدرس الظاهرة من منطلق قاعدته المعرفية وخلفيته الأكاديمية، مما أدى إلى اخصاب متبادل لمختلف الحقول. ما ساهم في انتقال الاقترابات المتطورة من علم النفس والانثروبولوجيا إلى علم السياسة، كما ادى تطور الدراسات عبر الحقول وتزايد تفاعلاتها من خلال دراسات المناطق Area Studies، ومع صعود أهمية الدول غير الأوروبية واستقلالها، وبروز العديد من المشكلات المرتبطة بها، مثل التحديث والتنمية والثورة والتغير الاجتماعي، بدأ التركيز على دراسة مناطق معينة بالنظر للتعدد الثقافي والتاريخي بها. لقد وسع الاقترابين دراسة المناطق والدراسات عبر الحقول من انتشار المدرسة السلوكية وانتقالها من حقل الى أخر[152].

سادسا: حدثت الفجوة المعرفية مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، بين ما هو معروف وما يجب أن يعرف، فكان المجلس "SSRC" مطالبا بإجراء العديد من البحوث الاجتماعية، كما كان الباحثون يعملون بصورة متفرقة معزولة، لذا دعا المجلس لتكثيف الدراسات عبر الحقلية ودراسات المناطق، فعقد في نيويورك مؤتمرا عام 1947 حول ضرورة تبني دراسات المناطق كخطوة ضرورية وطبيعية وتقدمية في تطوير علم موضوعي للإنسان.

وانبثقت بعدها استراتيجيتين مهمتين للعمل:

1- مفهوم العملية بإعتباره وحدة التحليل الأساسية.
2- المنظور المقارن في التحليل[153].

وفي حلقة بحث "Seminar" شيكاغو 1952، تم الإتفاق بين أعضاء المجلس للإنتقال من تكنيكات البحث القديمة، المتمثلة في التحليل الفلسفي والتاريخي والقانوني إلى التحليل السلوكي، إعتبر دفيد ترومان أنذاك أن **"السلوك السياسي"** يجب أن يُعتبر **حقلا في العلوم السياسية**، إذ أنه ليس تخصصا جديدا داخل علم السياسة وإنما هو إقتراب في دراسة الظاهرة السياسية.

---

[152] – محمد نصر عارف، مرجع سابق الذكر، ص ص 249-250.

[153] – محمد نصر عارف، مرع سابق الذكر، ص 250.

4- النَزعات الكبرى لدراسة علم السياسة

منذ ان استخدم توماس كون النموذج المعرفي اصبح يدور في عدة تخصصات منها الطبيعية والفيزيائية، وصولا الى تخصصات علم الاجتماع ومن أهمها علم السياسة هذا النموذج يمثل اطار لتفسير كيف يتقدم او يتطور العلم من خلال ثورات ونزاعات متعددة وهذا ما حدث في علم السياسة، حيث ان هذا المجال شهد العديد من التطورات المعرفية وتيارات عديدة التي غيرت من مناهجه وطرق بحثه وايضا لطريقة تفسيره لظواهر السياسية والتي بدورها غيرت مفهوم الدولة في عدة مراحل او يمكن القول عليها نزعات وعليه نطرح التساؤل ما هي هذه النزاعات قائمة على الثورة المعرفية الكونية حسب توماس كون؟

لقد ظل حقل السياسة المقارنة حقل معرفي غير مستقر نسبيا، وشهد عدة حركات ومنعطفات ابستمولوجية ونزعات علمية استهدفت إعادة صياغة بنيته المعرفية من حيث أطره النظرية ومناهجه البحثية، وتراوح انتاجه المعرفي ونزعاته المنهجية ما بين المنظور التراكمي المتصل وما بين الأزمة المعرفية التي تُؤدي إلى القطيعة المعرفية أو تفكيكها وإعادة بنائها وفقا لمنظورات ومنظومات فكرية جديدة، والتفسير الإبستمولوجي والثورة العلمية كما يقدمها توماس كوهن في مؤلفه بنية الثورات العلمية الذي فسر النموذج المعرفي على أنه اطار لتفسير تطور العلم والمعرفة من خلال ثورات متعاقبة تحدث تغيرات جذرية في القواعد الأساسية وتقوم بمراجعة صارمة لها، وإعادة صياغة الافتراضات الكبرى للنظريات والأطر المعرفية السابقة[154].كما يستخدمه كوهن يمكن تعريفه على انه مجموعة متآلفة ومنسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين وأدوات و التكتيكات والتطبيقات يشترك فيها اعضاء مجتمع علمي معين، ويمثل تقليدا بحثيا كبيرا او طريقة في التفكير والممارسة والمرشد او دليل يقود الباحثين في حقل معرفي ما وقد يكون النموذج المعرفي ذا طبيعية فلسفية وشديد العموم.[155]

وقد حاول علماء السياسة والسياسة المقارنة تحديدا في كل مرحلة من مراحل تطور الحقل ترسيخ نموذجهم المعرفي خاصة مع النزعة العلمية في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وبالأخص مع صدور كتاب توماس كوهن، إلا أن الميزة الغالبة للحقل هي عدم الاستقرار خاصة في ظل تصارع النماذج المعرفية بين دعاة النزعة المعيارية وقولهم بالتعدد وعدم التركيز البحثي أو المنهجي، وبين دعاة النزعة العلمية الإمبريقية وقولهم بالتركيز البحثي وأسبقية الاتجاه المنهجي على الاتجاه الجوهري أو الموضوعي للبحث.

عند بداية ارساء معالم الحقل معرفيا في نهاية القرن التاسع عشر، اتجه علماء السياسة الى ارساء قواعد تتمحور حول الدولة وأبنيتها، وأخذت دراسات هذا الحقل في التمايز وفقا لمسار تاريخي معين، وأغلب

---

154 محمد ناصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي- النظرية- المنهج. مرجع سابق، ص 61.

155 نفس المرجع السابق، ص 58.

تلك الدراسات التقليدية بحثت فيما يجب أن يكون، لذلك جاءت أغلب معارف هذا الحقل متفائلة، غير أن المنعطفات الحادة التي شهدتها الدراسات السياسية مع ظهور النزعات المنهجية والعلمية في القرن العشرين أحدثت هزة معرفية في الحقل، وحدثت الكثير من التطورات المعرفية والمنهجية التي دفعت بهذا الحقل المعرفي وغيرت أسسه وقواعده البحثية والجوهرية، وأعطت حافزا قويا لعلماء السياسة المقارنة لدراسة ما هو كائن من زوايا منظوراتية وعلمية مختلفة، وذلك دون اغفال الصراع والتنافس داخل النماذج المعرفية نفسها.

على هذا الأساس تأسست البنية المعرفية لهذا الحقل كنتيجة لثورة معرفية سابقة أدت إلى تراكم مفاهيمي يستقر لفترة زمنية سرعان ما يفكك مرة أخرى نتيجة ثورة معرفية لاحقة، وكثيرا ما حدثت القطيعة الجزئية كرد رافض للمدارس السابقة منتهجة أسلوب الإزاحة الفكرية، أو لعدم قدرة تلك المدارس على استيعاب الظواهر السياسية الجديدة. فالثورات السياسية مثلا مع تصاعد الإحساس الذي يكون في الغالب قاصرا على قطاع من المجتمع السياسي بأن المؤسسات القديمة لم تعد تفي على نحو ملائم بحل المشكلات التي تفرضها بيئة كانت تلك المؤسسات طرفا في خلقها، وبنفس الطريقة الى حد كبير تستهل الثورات العلمية بتزايد الإحساس الذي غالبا ما يكون قاصرا على فئة محدودة من المجتمع العلمي، بأن أحد النماذج الإرشادية القائمة قد عجز عن أداء دوره بصورة كافية في مجال اكتشاف جانب من البحوث الخاصة الخاصة بهذا النموذج الإرشادي ذاته. ويلاحظ في كل من التطور السياسي والعلمي أن الإحساس بسوء الأداء الذي يمكن أن يفضي إلى أزمة يعد شرطا مسبقا للثورة.[156] كما أن تلك التموجات الإبستمولوجية لها جذور معرفية ومنطلقات فكرية تستند إليها وليس حال بالنسبة لحقل علم السياسة المقارنة بالنسبة للنموذج او المنطق الهيجلي القائل بأن المعرفة تخلق ولا تكتشف، ولم يكن هذا الحقل من اهدافه تقديم اطار تحليلي لدراسة الظاهرة السياسية، بل كان يسعى أيضا ‘إلى تجسيد أجندات سياسية وهي الميزة التي كثيرا ما اتسمت بها الثورات العلمية المعرفية في العلوم السياسية، كما لعبت الأيديولوجيا دورا لا يستهان به في الفكر كما في الممارسة.

يمكن الربط بين تطور حقل السياسة المقارنة والتطورات المعرفية على المستوى الكلي، وهذا ما دفع لتشكيل عدة تموجات فكرية كانت بدايتها غلبة الطابع الفلسفي، حيث أن الدراسات السياسية كانت امتدادا لفلسفة الأخلاق امتدادا من عصر التنوير إلى بداية القرن التاسع عشر، تلتها المرحلة التقليدية ومثلتها المدرسة القانونية المؤسسية، بالإضافة إلى سيطرة بعض المدارس الفكرية عند التحليل السياسي السائد أنذاك، وتتمثل في المدرسة المثالية والمدرسة التاريخية وقد دام هذا التصور طيلة النصف الأول من القرن العشرين، وأهم ميزاته تزايد أهمية المنهج المقارن في الدراسات السياسية، كما تميز بإنتاج معرفي بإنتاج معرفي

[156]– توماس كوهن، بنية الثورات العلمية، مرجع سابق، ص 132.

مميز من فترة لأخرى دون اغفال الدور الذي لعبته فلسفة العلم والمدرسة الإمبريقية التي تعود جذورها إلى بريطانيا، وبالرغم من ذلك فقد كانت هذه التموجات محدودة نسبيا في التأثير على الدراسات المقارنة، إذ ان التحول الكبير حدث بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ علماء السياسة تحت تأثير الثورة العلمية وعلى ضوء نجاحها المذهل في العلوم الطبيعية في تقليد المناهج المعمول بها في تلك العلوم لكي يتحرروا من التقليد السائد في الحقل أنذاك الذي كان منغلقا وبعيدا عن العلوم الأخرى ومفتقرا للصرامة العلمية.

مثلت السلوكية أكبر ثورة علمية في حقل السياسة المقارنة، فالتموج الذي أحدثته هذه الثورة ساهم في ظهور اقترابات جديدة واكتشفت طرق أخرى للبحث وانتشرت مناهج وطرق غير مألوفة سابقا، بل إن معظم الإقترابات في الدراسات المقارنة ساهمت في إرساء قواعدها الثورة السلوكية، إلا أنه مع نهاية الستينات من القرن العشرين حدث تمرد فكري على المدرسة السلوكية من داخل المدرسة نفسها بالنظر إلى المغالاة التي طبعت أفكارها وادعاء علمائها بكمال أبحاثهم وبضرورة التعميم، وذلك نتيجة مسايرتها لموضوعات الحداثة الكبرى، وكذا اعتمادها على الوضعية المنطقية في العلم ومناهجه، وايضا تسويقها للمنظور التنموي كمشروع سياسي، بالإضافة إلى اهمالها المعيار القيمي، كما تم اتهامها بالتقوقع والتحيز الفكري. الامر الذي أدى إلى تمود جديد في السياسة المقارنة وهو التموج المابعد السلوكي الذي قدم نفسه كبديل للمدرسة السلوكية، وجاء كرد فعل ضد التجريبية المفرطة للتوجه الإمبريقي للسلوكية، الأمر الذي أدى إلى اهمال الواقع والمعايير القيمية، ونادت ما بعد السلوكية بالتعددية المنهجية والاهتمام أكثر بمشاكل المجتمع، كما واكب هذا الاتجاه الجديد المقولات الكبرى لفلسفة "التفكيك" التي دعت إلى تفكيك المعارف وإعادة تركيبها وفقا لما يتماشى مع الواقع دون احداث قطيعة معرفية شاملة، وظهرت اقترابات ذات المعالجة المباشرة للظواهر السياسية كما استخدم فجأة نموذج جديد ذو توجهات اقتصادية لا يمثل امتداد تراكمي للأعمال والبحوث السابقة في السياسة المقارنة.

مثلت فترة ما بعد الحرب الباردة تحديا كبيرا لحقل السياسة المقارنة، وخاصة مع الثورة العلمية الثانية في الحقل 1990، وقد اتسع هذا الحقل كثيرا الى درجة التمزق والتصدع، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى فقدان وحدته الموضوعية والمنهجية وتشتت مداخله واقترابات، وهو الأمر الذي دفع فياردا إلى القول بفكرة "الجزر النظرية" الملائمة للحقول الفرعية المتعددة في هذا الحقل، كما سيطر الخيار العقلاني وفرض نفسه على دراسات السياسة المقارنة، حيث هيمن رواد هذا الخيار على النشر في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة المجلة الأمريكية للعلوم السياسية APSR ، وفرضوا منهجهم العلمي خاصة الرياضياتي والكمي، كما غابت الاهتمامات النظرية ولم تظهر هذه المرة ثورة علمية بالمعنى الكوهني، بل انتشرت "الرامج البحثية" بكثرة والتي درست المواضيع التي كانت موضع الاهتمام كالتحول الديمقراطي، المجتمع المدني، الثورة، العنف، الدمقرطة، الهندسة السياسية، الاقتصاد السياسي، الثقافة السياسية، الجماعات المصلحية، السياسة العامة،

الحروب الأهلية، كما عاد مفهوم الدولة ولكن ليس بالمفهوم التقليدي أما من الناحية المعرفية الكلية فقد تزامنت المرحلة وع مفاهيم ما بعد الحداثة.

ومع بداية الألفية الثالثة ظهرت بوادر تموج جديد يدعو إلى اصلاح علم السياسة أو ما اصطلح عليه ب"بروسترويكا علم السياسة"، والذي انتقد الخيار العقلاني بشدة واتهمه بالمبالغة في استخدام الأساليب العلمية والرياضية واهمال وتجاهل العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية عند دراسة الظواهر السياسية، والتركيز على السلوك والمواقف السياسية في جوانبها الكمية والكيفية منها، وهذا يعني ويدل على أن حقل السياسة المقارنة علم متجدد باستمرار وقابل للتكيف، وله القدرة على ايجاد مداخل جديدة لدراسة الظواهر السياسية الجديدة حتى ولو لم تحكمه نظرية موحدة، هذه القابلية هي التي تضمن استمراره، وكما يرى "فياردا" في كتابه السياسة المقارنة، مداخل ومخرجات 2007، بوجود العديد من الموضوعات التي يجب أن تدرسها السياسة المقارنة، خاصة في العالم الثالث كالسياسية والاقتصادية، التحول الديمقراطي، المجتمع المدني، الثورة، الحروب الأهلية، الإستبداد، الكوربوراتية الجديدة،...، كما يرى أن حقل السياسة المقارنة لا تحده أي حدود[157].

إن التموجات الإبستمولوجية بعد الحرب الباردة ومع مطلع الألفية الصالثة جاءت كنتيجة وانعكاس لظواهر وموضوعات سياسية جديدة، عكس ما كان سائدا ونمطيا في المراحل التاريخية السابقة في حقل السياسة المقارنة، حيث أن تلك التموجات كانت نتاج أطر فكرية ونظرية معينة وهنا تخف حدة تلك الثورات المعرفية كما فسرها كوهن، أي أن هناك تحولات جديدة في هذا الحقل المعرفي يراد منه أن يكون وثيق الصلة بالظاهرة السياسية وموثوق تجريبيا دون اهمال المعايير القيمية.

يعتبر حقل السياسة المقارنة في حالة تموج وتغير دائمة، فالمداخل النظرية يتم تطويرها وقبولها ورفضها وقبولها من جديد استجابة للاتجاهات الفكرية والتغيرات السياسية والإجتماعية والإقتصادية، هذه التغيرات طبيعية وتتطلب مرونة وتكيفا من قبل دارسي السياسة المقارنة[158]. فهذه التموجات سواء كانت سابقة للظواهر والمواضيع السياسية أو نتاج لها أو حتى نتيجة للصراع والتنافس الذي يحكم النموذج المعرفي. في كل الحالات لعبت تلك التموجات دورا مهما في عملية البناء المعرفي أو تفكيكه من خلال التطورات والمنعطفات

---

157 - Howard Wiarda, Comparative Politics : Approaches and Issues, USA, New York : Romwmam& Littelfield Publishers, 2007, p 253.

158 – محمد زاهي بشير المغيربي، قراءات في السياسة المقارنة: قضايا منهاجية ومداخل نظرية. ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط2، 1998، ص 294.

الفكرية التي حددت الاطر المعرفية للسياسة المقارنة ضمن مسار تاريخي وتكيفات معرفية لازالت مستمرة مع الألفية الثالثة في حقل السياسة المقارنة.

أولا: النزعة الدولاتية: في البدء كانت الدولة

مفهوم الدولة:

يعود مفهوم الدولة الى كلمة لاتينية status والتي تعني موقف او وضع، وبحسب المؤرخين فان هذه الكلمة ما زالت تحمل هده المعنى في عبارات مثل حالة حصار او حالة ذهنية state وفي العاميات قد تشير الدولة، فالدولة هي نوع من تنظيم الاجتماعي الذي يضمن امنه وامن رعاياه ضد أخطار الخارجية او داخلية، فان الدولة بوصفها سلطة فعالة تنطوي ايضا على سلطة ذات سيادة قادرة على تنظيم نفسها بنفسها وغير ملتزمة بالخضوع بأي شكل كان لأي كان وتتحقق هذه السيادة في حقلين الداخلي والدولي في ان واحد.[159]

مفهوم الدولاتية:

هي نظرية سياسية تُعلي من شأن الدولة وتحولها إلى كيان مطلق فوق الأشخاص والأحزاب والحكومات وتدعو لوضع جميع الوظائف الاجتماعية تحت إدارة الدولة. وقد نشأت هذه النظرية كرد فعل على النظريات الليبرالية والنيولبيرالية التي تُنادي بتخلي الدولة عن القيام بأية مهمة اقتصادية أو اجتماعية من جهة، وعلى النظريات الماركسية والفوضوية في القرن التاسع عشر التي كانت تُنادي بزوال الدولة[160]. قد انتقلت هذه النظرية إلى علم السياسة لتُصبح نزعة سائدة أثرت على تطور الحقل المعرفي لعلم السياسة.

كانت مهمة الرئيسة لعلم السياسة في تلك الفترة ارساء الدولة القومية موحدة ومواطنة موحدة والبحث عن قوانين التي تحكم توزيع السلطة بين مؤسسات النظام السياسي للدولة وبذلك البحث على نصوص الدستورية، فهي تقوم على اهداف معيارية من اجل جعل امة تتمتع بإدارة ولقدرة تحقيق هذا الهدف، اشار فرانك قودناو حول اهمية علم السياسة في تحقيق ارادة الدولة، كما ان وجود توجهان اساسيان الذي ظهرا في اوروبا والولايات متحدة امريكية اثر الثورة الصناعية وما افرزته من نتائج اولهما ركزت على مواجهة تحدي بناء الدولة و مؤسساتها وصياغة دستورها من اجل اجراء مقارنة بين الدول المجاورة من اجل وصول

[159] – محمود حيدر، الدولة فلسفتها وتاريخها من اغريق الى ما بعد الحداثة. المركز اسلامي لدراسات استراتيجية، 2018، ص ص 16-19.

[160] – عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء 2، ص 699.

الى نمط اوروبي في حكم اما الثاني ركز على صيغة ثورة اجتماعية وحراك اجتماعي وظهور نخب جديدة وتحول ديمقراطي للحكومات. كما انحصرت معظم ادبيات السياسة المقارنة التقليدية في تطرق الى بناء مؤسسي للدولة فيمكن القول ان النظرية الكلاسيكية لعلم السياسة تفترض ان وحدتها الدراسية الكبرى هي الدولة.

لكن هذه النظرية تتهاوى لان امام نظرة جديدة التي تعتبر ان حصر البحث السياسي بالدولة هو تضيق له.[161]

هيمن تصور الدولة على الخطاب السياسي الأمريكي مع نهاية القرن التاسع عشر، وساهم في إكساب (الدولة) هذا الوزن وجوه أكاديمية تحولت إلى رموز لعلم السياسة الناشئ. ومع ذلك، فإن الإشارة إلى تصور الدولة وجعله محورا للنقاش ليس بالشيء الجديد كليا، حيث سبق لما اصطلح على تسميته بالنقاشات الدستورية بين الفدراليين أن أولت عناية كبيرة بها. وهكذا تمحور الخطاب العلمي لهذا الحقل المعرفي على الدولة ابتداء من فرانسيس ليبرFrancis Lieber ، والذي عين كأول أستاذ لعلم السياسة بجامعة كولمبيا الأمريكية عام 1857، وصولا إلى وودرو ويلسن Woodrow Wilson وغيره من الباحثين، وخلال هذه الفترة كانت المهمة الرئيسية لعلم السياسة إرساء دولة قومية موحدة ومواطنة فاضلة. ولم يكن "ويلسن" وحيدا في تصوره لـ: "نظام سياسي تؤطره أحزاب سياسية منضبطة تقترح سياسات عقلانية معدة بعناية، لناخبين لديهم الدراية الكافية، وعلى ضوء نتائج الانتخابات، يقوم الكونغرس بإقرار السياسات التي تمت تزكيتها، لتعكف على تنفيذها بيروقراطية تتمتع بالخبرة وتطبق أفضل ما جاد به علم الإدارة. هذه الدولة الإدارية تتنشق حسب ويلسن هواء أمريكيا نقيا". لقد صاحبت هذه الدعوة للفضيلة دراسات إمبريقية عدة دأبت على تحليل المؤسسات الأمريكية وكشف مختلف مظاهر الشرخ والجهوية المحسوبية والفساد. وقد جسد مُؤلَف "ويلسن" نفسه المعنون: "الحكومة البرلمانية" الصادر في 1885 هذا النوع من الدراسات.

بدا أن مهمة علم السياسة طيلة نصف قرن انحصرت في السعي من أجل إقامة دولة قومية موحدة، تشد دعائمها أمة موحدة تتمتع بالمهارة. وفي هذا الاتجاه أشار فرانك قودناو Frank Goodnow في معرض حديثه أمام "الجمعية الأمريكية لعلم السياسة"(American Political Science Association) APSA ، حول دور علم السياسة في تحقيق "إرادة الدولة": **"أحيانا تنشأ التحالفات السياسية لهذا الغرض (تحقيق إرادة الدولة)، خاصة الحركة التقدمية، لكن الهدف الذي وجد من أجله هذا المشروع يتمثل بالأساس**

[161]– محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014، ص ص 233–235.

في مكافحة الفساد، الزبونية، الماكنة الحزبية، المحاباة، والجهوية، وهي المظاهر التي سعت النزعة الدولاتية إلى محاصرتها، تماما مثلما عملت على إصلاح النظام الماديسوني (نسبة إلى توماس ماديسون أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة)" والذي أصبح غير ملائم للتحولات الاجتماعية الناجمة عن الثورة الصناعية. ومن جهة أخرى، **فقد ركز بعض الباحثين في الاتجاه الدولاتي الذي يقدس الدولة على معارضة الطابع الفدرالي للدولة بدعوى جعل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر توحدا.**

وبذلك يتضح أن الحقل المعرفي الناشئ باسم علم السياسة لم يكن هدفه تقديم إطار تحليلي لدراسة الظاهرة السياسية، بل تجسيد أجندة سياسية أيضا، وهي الميزة التي اتسمت بها كل الحركات الثورية العلمية، **إن "الدولاتية" باعتبارها الاتجاه الفكري الذي أسس علم السياسة لم تعمل على تغيير واقع الحال في هذا الحقل المعرفي بل إلى إرساء دعائمه في المقام الأول، لكن رفضها السماح للمحللين السياسيين الهواة (غير المنضبطين منهجيا والمؤطرين أكاديميا) بمشاركتهم الحقل المعرفي أهلهم ليكونوا حركة ثورية معرفية،** وفعلا فقد تجمع الاتجاه الذي يشمل ''هواة'' التحليل السياسي في إطار "الجمعية الأمريكية للعلوم الاجتماعية" ASSA والتي أسست سنة 1865، لكن هذه الأخيرة "أحيلت على التقاعد" مع تأسيس"الجمعية الأمريكية لعلم السياسة" سنة 1903، و"والجمعية السوسيولوجية الأمريكية" سنة 1905. اتسمت جمعية ASSA في الأساس بنزعتها الإصلاحية المسيحية، وعملها الميداني الهادف في مجمله إلى تحقيق الرفاه العام، ولكنها لم تتوجه نحو دراسة جادة للسياسة الأمريكية عبر طرح تساؤلات عميقة بشأن الواقع السياسي الأمريكي. وبذلك يكون مؤسسي النزعة المهنية الاحترافية في علم السياسة قد ساهموا في إرساء أجندة فكرية جديدة وثورية أهم مظاهرها جعل تصور الدولة تصورا مركزيا في مسعى إكساب الحقل المعرفي لعلم السياسة هوية جديدة. لم يتعرض هذا الاتجاه المعرفي "الدولاتي" للمقاومة من داخل الحقل المعرفي لأن الذين جاء على أنقاضهم ظلوا خارج الحدود التي رسمت لهذا العلم الناشئ.

ثانيا: انتفاضة ذوي النزعة التعددية مقابل النزعة الدولاتية

بذلت هذه المرحلة عدة مجهودات من اجل تغير نوعية الحقل من خلال بنيته الجوهرية والمعرفية والبحث في عديد من المواضيع الشاملة وعن الواقعية في الطرح وابتعاد عن المعيارية، ايضا البحث عن الضبط والدقة في دراسة المقارنة واخيرا البحث عن نظام نظري يحكم بإطاره الفكري والمنهجي حقل السياسة المقارنة تزامنت هذه الجهود لقيام بناء وجه جديد للسياسة المقارنة مع الدفع التي اعطته الثورة السلوكية للدراسات السياسية خاصة مع اعمال ابراهام كابلان وهارولد لازويل في كتابهما السلطة والمجتمع ودافيد ترومان في مؤلفه عملية الحكومة. كما ان في ظل بروز اقتراب السياسي العلمي كان اتجاه العام يشير الى التزام بالأسس العلمية وخاصة بعد الثورة السلوكية 1950 والتي كانت تبدي استخدام ارقام في تحليل علوم السياسية،

وعليه ظهرت عدة اتجاهات لدراسة مفهوم الدولة وتعريف ماهيتها ومن بين هذه اتجاهات النظرية التعددية والتعددية الجديدة بالإضافة الى نظرية الماركسية واقتصاد السياسي وهذه النظريات مكنت علماء السياسة من اخضاع الدولة لدراسة تجريبية قابلة للاختبار. كما يمكن القول ان التعددية كانت تركز على المجتمع.[162] كما ان قانيل يرى ان صعود النزعة التعددية في العشرينات يعتبر الثورة المعرفية الحقيقة الوحيدة التي شاهدتها علم السياسة في الولايات المتحدة الامريكية فقد كانت للولايات المتحدة نظاما سياسيا تعدديا بشكل يفوق آمال ذوي النزعة الدولاتية، فان مفهوم التعدد لدى ذوي النزعة التعددية لا يرتكز على تعدد المصالح بل على تعدد الوسائل.[163]

كانت الولايات المتحدة نظاما سياسيا تعدديا بشكل يفوق آمال ذوي النزعة "الدولاتية"، ورغم أن "الدولاتيين" يقرون بالتعدد إلا أنهم يطلقون عليه وصف (التجزئة)، بل ويعتبرونه مشكلة يتعين حلها لا وضعية ينبغي تثمينها، هذه هي الحقيقة التي يشير إليها مؤلَف الأستاذ: آرثر بنتلي Arthur Bentlyالمعنون The Process of Government :والذي يعتبره السلوكيون أحد رواد السلوكية التعددية. وفي كتاب آخر أصدره لاحقا بعنوان Makers, Users and Masters :عبَر "بنتلي" عن إدانته لهيمنة مجموعات المصالح على السياسة الأمريكية. وهو ما يتفق مع أحد أسلاف السلوكية تشارلز ميريام Charles Merriamوالذي دعا في مؤلف نشره خلال العشرينيات من القرن العشرين إلى تقوية الديمقراطية وتعزيز التحكم في العملية السياسية والرعاية الاجتماعية. لكن ومع أن نظام الدولة المركزية قد تعرض للنزيف مع فقدانه للتحكم في العديد من الأجهزة، إلا أن تقديس الدولة استمر خلال العشرينيات لأنها كانت تلبي تطلعات معيارية.

غير أن التعددية المعيارية أضحت تحتل حيزا متزايدا مع ظهور مؤلفات "هارولد لاسكي" Harold Laski (1917)و"ماري بيركيت فوليت" .Mary Parket Follet (1918) كان كل من ''لاسكي'' و''فوليت'' متأثرين بفلسفة ''وليم جيمس'' **التي شددت على وجود طرق عدة يمكن للفرد من خلالها إدارة شؤونه**. ومن هنا يمكن استشفاف حقيقة أن **مفهوم التعدد لدى ذوي النزعة التعددية لا يرتكز على تعدد المصالح بل على تعدد الوسائل**. أما "فوليت" فقد كانت من دعاة تنظيم المجتمع في جماعات من للقاعدة باتجاه القمة، معارضة بذلك الهندسة الاجتماعية التي كانت تعتمد على الاتجاه العكسي من القمة باتجاه القاعدة. وهي بذلك تختلف عن "الدولاتيين" في تقديسهم لدور الوصاية التي تمارسها الدولة.

---

[162] محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014، ص 235، 236.

[163] مقالة، قراءة في تطورات الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسية

لقد طرحت "فوليت" سؤالا وجيها: ما الذي يمكن عمله بالتعددية؟ لكنها تلقت ردا مباشرا من الدولاتيين: كل ما يجب فعله بالتعدد هو إزالته أما مبررات ‘‘فوليت’’ فهي غامضة وصعبة التطبيق.

إلا أن "قانيل" Gunnel يرى خلافا لباحثين آخرين أن صعود "النزعة التعددية" في العشرينيات يعتبر الثورة المعرفية الحقيقية الوحيدة التي شهدها علم السياسة في الولايات المتحدة، ولدعم وجهة نظره يستعين "قانيل" بباحث آخر هو ‘‘جورج كاتلين" George Catlin بدلا من "لاسكي" و"فوليت"، صحيح أن كاتلين نفسه كان متأثرا بـ: "لاسكي" إلا أنه عارض مرجعيته الأخلاقية الداعية لربط علم السياسة بقضايا المجتمع، ذلك لأن "كاتلين" كان من مناصري "تحييد العلم"، أما بالنسبة للنظرة للتعدد فقد كان لـ "كاتلين" تصور مختلف أيضا، حيث يرى أن التعدد يعود على اختلاف مصالح المجموعات المشكلة للنسيج الوطني، لا على تعدد تجارب هذه المجموعات (ووسائلها)، وقد سار السلوكيون على هذا التقليد، ما جعل "قانيل" يقول أن التيار السلوكي لم يكن ثوريا بل مجرد استمرار لتحول النموذج الإرشادي الذي قاده "كاتلين".

وإذا تمعنا جيدا في أعمال "كاتلين" سنستشف تقاربا كبيرا بينه وبين "الاتجاه الدولاتي" الذي كان بمثابة التقليد البحثي السائد خلال تلك الفترة، خاصة وأن "الدلاوتيين" كانوا يعترفون بوجود التعددية باستثناء أنهم كانوا يرون فيها مشكلة يتعين حلها. وعموما، فإن تعددية "كاتلين" من الناحية الواقعية لا تنطوي على تحول جذري، وحتى رائد "الاتجاه الدولاتي" والمدافع الشرس عنه (حسب "قانيل") "وليم ياندیل إليوت William Yandell Elliott ’’لم يكن ليعارض تعددية "كاتلين" باعتبارها نظرية تفسيرية، ذلك أن ما عارضه ‘‘إليوت’’ هو التعددية المعيارية (أي التسليم بوجود مجموعات مشكلة للنسيج الوطني تحمل قيما مختلفة). ومن هنا يتضح أن الشيء الثوري الوحيد لدى التعدديين هو الشق المعياري لطرحهم. ما يعني أن "لاسكي" و"فوليت" (وليس "كاتلين") هما المؤهلان لتمثيل الثورة التعددية في الحقل المعرفي لعلم السياسة. لكن تطلعاتهم لم تحض بالقبول في علم السياسة إلا في خمسينيات القرن العشرين. **وحينها فإن الصيغة المتبناة للتعدد هي تلك التي ترتكز على تعدد المصالح لا على تعدد التجارب المجتمعية التي تفضي إلى منظومات قيمية مختلفة تعدد القيم.**

ما يجعلني أنأى عن تصنيف صعود التعدديين كثورة معرفية هو عدم تبني الباحثين لطروحاتهم لاحقا، كما أنهم لم يستطيعوا إرساء تقليد بحثي يؤطر أعمال وأبحاث باحثي علم السياسة. فهل يعقل أن تحدث الثورات دون أن تلفت انتباه أحد؟ لجأ "قانيل" في مؤلف أصدره عام 2005 إلى اقتباس لـ "توماس كوهن" Thomas Kuhn (1962) يتحدث فيه عن أن الثورات المعرفية تكون غير محسوسة في البداية إلا أن الفهم الجديد الذي تسوقه سرعان ما يهيمن على الحقل المعرفي. لم يكن"قانيل" مصيبا في اقتباسه لأن ما قصده "كوهن" هو اتجاه معتنقي البارادايم (النموذج الإرشادي المعرفي) إلى إعادة كتابة الماضي لإظهار الباحثين الأولين على

أنهم الرواد الذين ساهموا في بناء الصرح المعرفي قيد التبلور. وهو ما لم يحدث في الفترة الممتدة بين 1920 و1950، وفضلا عن ذلك، فإن المسؤولين عن إنجاح نموذج إرشادي (باراديام) جديد يفترض أن يتم الإقرار بإنجازاتهم وامتداحها (توماس كوهن). ما قاله "كوهن" لا ينطبق على "كاتلين"، وبذلك فإن الحديث يجب أن يكون حول المحاولة الثورية التي قام بها ذوي "النزعة التعددية المعيارية" (تعددية القيم لا تعددية المصالح)، وهي المحاولة التي باءت بالفشل، لأنها جوبهت بمقاومة عنيفة من التقليد البحثي السائد آنذاك ("الدولاتي": المتحور حول الدولة والذي ينبذ فكرة وجود فاعلين آخرين بخلاف الدولة) لاسيما من رموز "الدولاتية": "تشارلز بيردو"Charles Beardo، "وولتر شيباردWalter Shepard "، "فرانسيس كوكر"Francis Coker ، "وليم ياندیل إيليوت" William Yandell Elliott وغيرهم. لقد كان "لاسكي" محسوبا على الاشتراكيين الراديكاليين، بينما التصق اسم "إليوت" بالفاشية الإيطالية. لكن التقليد البحثي "الدولاتي" ظل قائما رغم تراجع هيمنته على علم السياسة وذلك إلى غاية إعادة بعثه من طرف "تيودور لوي Theodore Lowi "من خلال كتابه The End of Liberalism) : نهاية الليبرالية)مع أن هذا الأخير كان محسوبا على ما اصطلح على تسميته بـ "الخيار الثالث" الذي يشمل التوجه الإصلاحي في علم السياسة، ومذ ذاك فإنه وعقب نصف قرن من هيمنة مصطلح "الدولة"، اختفى هذا المصطلح تقريبا من التداول لولا استخدامه في تخصص العلاقات الدولية.[164]

ثالثا: النزعة السلوكية:

يمكن تعريف السلوكية باعتبارها تركز على بحث في سلوك سياسة فقد كانوا يركزون على الفرد باعتباره وحدة للتحليل، كما ان هذا الاتجاه تبنى التعددية في شقها المتعلق بالمصالح لا القيم أي ذلك التعدد الذي يكون تحت مظلة التوافق حول المنطلقات الأسس بين المصالح الاقتصادية المتعارضة،[165] فان الجديد الذي حملته السلوكية كثورة هو اعادة صياغتها لتصور التعددية من التعددية (المنظومات القيمية) الى تعددية مصالح.[166] فبحلول ستينات القرن العشرين بدأ ظهور أن السلوكية لم تعد مجرد أقلية تناضل ضد التقليد المهيمن على حقل السياسة آنذاك بل كانت طبقا لروبرت دال أحد أبرز منظري المدرسة السلوكية تمثل بالفعل ثورة ناجحة وفقا لنموذج توماس كون للثورات العلمية فقد أصبحت في طريقها لخلق أجندة جديدة

1-جون س. دريزك، قراءة في تطورات الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسية، تر: عادل زقاغ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية.

165 مقالة، قراءة في تطورات الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسية

166 محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014، ص 237.

لعلم السياسة. وصل الأمر بروبرت دال إلى التنبؤ بأن السلوكية ستنمو لتصبح مألوفة جدا وموضع إجماع جديد وبأنها لن تبقى مجرد اقتراب خاص، فقد جاء هذا الاتجاه كما يؤكد شيل كوت كحركة احتجاجية من قبل بعض علماء السياسة ضد إخفاق النموذج التقليدي القانوني غير المقارن الذي كان في معظمه وصفيا وذا أفق ضيق وانحصر اهتمامه في دراسة الجوانب الشكلية والقانونية للحكومات فضلا عن التركيز على وجود علاقة متبادلة بين الحقائق والقيم، وقد أكتسب التوجه السلوكي حضورا وشعبية كبيرة في علم السياسة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية برغم أن جذوره تعود إلى عشرينات القرن الماضي متمثلة في كتابات وأعمال علماء سياسة. فالنتائج حرب العالمية الثانية مهدت مرحلة تحول حاسمة في حقل السياسة كما يشير نصر عارف "أخرجت النموذج المعرفي التقليدي تماما من ساحة البحث الأكاديمي" وأتاحت الفرصة لهيمنة الحركة السلوكية على مختلف حقول العلوم الاجتماعية، وأصبح من المنطقي القول بحدوث ثورة سلوكية. ويعود السبب في ازدهار النموذج المعرفي السلوكي لعلم السياسة في تلك الفترة كما يقول روبرت دال إلى ثلاثة عوامل رئيسة:

- توفر مصادر تمويل ضخمة من قبل مؤسسات بارزة.
- توفر وسائل جديدة وإمكانيات منهجية واعدة أمكن استخدامها في البحث السياسي بعد أن تم تطويرها بشكل مستقل عن علم السياسة.
- الأثر الكبير للتراث الوضعي المنطقي، التي تؤكد ضرورة فصل القيم عن العلم.[167]

رابعا: دعاة علم سياسة جديد

في هذه المرحلة اي مرحلة ما بعد السلوكية اصبح الحقل اكثر تجزؤا وتنشيطا وانقسم الى عدة حدود غير متماسكة من حيث الرؤية البحثية والمنهجية فما بعد السلوكية دمرت التركيز الجوهري وادراك التزام العلمي الذي بنته الثورة السلوكية من خلال تحديدها للقواعد العلمية المنهجية، فمع اقرار فشل السلوكية في فهم وتفسير كثير من الواقع والظواهر السياسية بدأت أدبيات السياسية المقارنة تتجه نحو التغير خاصة مع بداية عودة مفهوم الدولة بقوة باعتبارها وحدة تحليل اساسية وليست مجرد صندوق افتراضي للمدخلات ومخرجات وذلك بفضل تحليل الماركسي الذي عاد مع نهاية الستينات بالإضافة الى تحليل المؤسسي.[168] فقد ارتبطت علم السياسة بما بعد السلوكية على اساس ارتباطها بالحداثة والمتمثلة في التطورات التي حدثت في اقتصاد واجتماع والسياسة واختراعات ونمو الذي حدث المجتمع الغربي خلال اربعمائة سنة اخيرة.[169] كما ان

[168] – محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014، ص ص 237-238

[169] –محمد ناصر عارف، مرجع سابق، ص ص 287، 290

انتقادات التي واجهها السلوكيون قد اثمرت بظهور ما يسمى بـ "المؤتمر من أجل علم سياسة جديد" والذي حاول تحديد ملامح المرحلة المقبلة في علم السياسة وإعادة توجيهه فقد شن هذا المؤتمر هجوما كاسحا على السلوكية ولكنهم جوبهوا بالمقاومة شرسة.[170]

في اخير يمكن القول ان من بين هذه الثورات الاربعة التي قامت على منطق الثورة العلمية لم ينجح منهما إلا حركتين الاولى المتمثلة في الحركة الدولاتية وحركة الثالثة وهي النزعة السلوكية، ذلك أن حقل علم السياسة أظهر مقاومة شديدة للتغيير ويمكن سر نجاح هاتين الحركتين هو أن ثورتاهما لم تواجه بأي مقاومة من داخل هذا الحقل المعرفي على الرغم من تعرضهما لانتقادات عديدة، فنجاح النزعة الدولاتية يعود إلى عزمها على إضفاء المهنية والاحترافية على دراسة علم السياسة، ولا يعود الفضل فيه إلى التزاماتها المعيارية الالتزام بالدعوة للإصلاح والحفاظ على القيم اما السلوكية يعود نجاحها في إعادة صياغة أجندة البحث في علم السياسة يعود إلى إقدامها على إحداث تغييرات جذرية تضمنت بالأساس إنهاء الالتزامات اي المعيارية. كما انه اعتقد بعض الباحثين أن تاريخ الحقل المعرفي لعلم السياسة من منظور توماس كوهن هو عبارة عن مجموعة من المراحل التي تحدد معالمها الثورات المعرفية.[171]

ومن خلال دراسة هذه الحركات، نجد أنه لم تنجح سوى الحركتان الأولى والثالثة، ذلك أن حقل علم السياسة أظهر مقاومة شديدة للتغيير. وما تجدر ملاحظته في هذا الشأن هو أن سر نجاح "الدولاتية" و"السلوكية" يكمن في أن ثورتاهما لم تواجه بأي مقاومة من داخل هذا الحقل المعرفي، وفي ملخصنا المتواضع هذا سنتطرق إلى نزعتين مهمتين في البناء المعرفي لعلم السياسة وهما النزعة الدولاتية والنزعة التعددية.

5- ما بعد السلوكية: نحو علم سياسة جديد؟

في المرحلة ما بعد السلوكية أصبح الحقل أكثر تجزئا وتشظيا وانقسم إلى عدة حدود غير متماسكة من حيث الرؤية البحثية والمنهجية. وقد دمرت ما بعد السلوكية التركيز الجوهري وإدراك الالتزام العلمي الذي بنته الثورة السلوكية من خلال تحديها للقواعد العلمية المنهجية، خاصة أن معظم أقسام وكليات العلوم السياسية فشلت في تعليم الطلبة لقاعدة تدريبية على القواعد الصارمة للتقنيات البحثية وتحليل المعلومات الكمية[172].

فمع اقرار فشل السلوكية في فهم وتفسير الكثير من الظواهر والوقائع السياسية، بالإضافة إلى فشل المنظور التنموي. بدأت أدبيات السياسة المقارنة تتجه نحو التغيير، خاصة مع بداية عودة مفهوم الدولة بقوة باعتبارها وحدة التحليل الأساسية وليست مجرد صندوق افتراضي لمدخلات ومخرجات. وذلك بفضل التحليل الماركسي الذي عاد بقوة مع نهاية الستينات بالإضافة إلى التحليل المؤسسي، وظهرت العديد من المؤلفات مثل بولنتزاس Nicos Poulantzas: السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية عام 1968، ميليبند Miliband Ralph: الدولة في المجتمع الرأسمالي عام 1969، وغيرها من المؤلفات التي تحدت التحليل النظمي.

لقد مثلت السلوكية أكبر ثورة علمية في علم السياسة والسياسة المقارنة، فالتموج الذي أحدثته هذه الثورة ساهم في ازدهار اقترابات جديدة واكتشفت طرق أخرى للبحث وانتشرت مناهج وطرق غير مألوفة سابقا، فقد ساهمت المدرسة السلوكية في إرساء قواعد معظم الإقترابات. إلا أنه مع نهاية الستينات حدث تمرد فكري على المدرسة السلوكية من المدرسة السلوكية نفسها بالنظر إلى المغالاة التي طبعت أفكارها وادعاء علمائها بكمال أبحاثهم وبضرورة التعميم، وذلك نتيجة مسايرتها للحداثة الكبرى وكذا اعتمادها على الوضعية المنطقية في العلم ومناهجهن وأيضا تسويقها للمنظور التنموي كمشروع سياسي، بالإضافة إلى اهمالها المعيار القيمي، كما تم اتهامها بالتقوقع والتحيز الفكري، الأمر الذي أدى إلى تموج جديد في علم السياسة، قدم نفسه كبديل للمدرسة السلوكية وهو "ما بعد السلوكية".

جاء هذا الإتجاه كرد فعل للتجريبية المفرطة للتوجه الإمبريقي للسلوكية، الأمر الذي أدى إلى اهمال الواقع والمعايير القيمية، ونادت ما بعد السلوكية بالتعددية المنهجية والإهتمام أكثر بمشاكل المجتمع، كما واكب هذا الإتجاه المقولات الكبرى لفلسفة التفكيك التي دعت إلى ضرورة تفكيك المعارف وإعادة تركيبها وفقا لما يتماشى مع الواقع دون احداث قطيعة معرفية شاملة، وظهرت اقترابات أقرب ما تكون على المعالجة

---

172 - Shu-Yun Ma, 'Political Science at the Edge of Chaos ? The Praradigmatic Implications of Historical Institutionalism', International Political Science Review, Vol.28, No.01, 2007. p.70.

المباشرة للظواهر السياسية كما استخدم فجأة نموذج جديد ذو توجهات اقتصادية لا يمثل امتداد تراكمي للأعمال والبحوث السابقة للسياسة المقارنة.

ومثلت فترة ما بعد الحرب الباردة تحديا كبيرا لحقل السياسة المقارنة، خاصة مع الثورة العلمية الثانية في الحقل سنة 1990، قد اتسع هذا الحقل كثيرا إلى درجة التمزق والتصدع، الأمر الذي كاد أن يُؤدي إلى فقدانه لوحدته الموضوعية وتشتت مناهجه واقترابات، ما أدى إلى "فياردا" بالقول ب"الجزر النظرية" الملائمة للحقول الفرعية المتعددة داخل هذا الحقل، مع سيطرة الخيار العقلاني، إذ هيمن رُواد هذا الخيار على النشر في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة المجلة الأمريكية للعلوم السياسية "APSR" وفرضوا منهجهم العلمي خاصة الرياضياتي والكمي، كما غابت الإهتمامات النظرية ولم تظهر هنا ثورة علمية بالمعنى الكوهني، بل انتشرت "البرامج البحثية" بكثرة والتي درست مواضيع محط الاهتمام مثل: التحول الديمقراطي، المجتمع المدني، العنف، الدمقرطة، الهندسة السياسية، الاقتصاد السياسي، الجماعات المصلحية، السياسات العامة، الحروب الأهلية، مع عودة مفهوم الدولة للواجهة لكن ليس بالمفهوم التقليدي، وقد تزامن كل ذلك ، فكريا مع فترة ما بعد الحدثة.

مع بداية الألفية الثالثة، ظهر تموج جديد يدعو إلى اصلاح علم السياسة المدعو "بروسترويكا علم السياسة"، والذي انتقد فكرة الخيار العقلاني بشدة، واتهمهم بالمبالغة في استخدام الأساليب العلمية والرياضية واهمال دراسة العوامل التاريخية والإقتصادية والإجتماعية في دراسة الظواهر السياسية، والتركيز على السلوك والمواقف السياسية في جوانبها الكمية دون الكيفية، ويعطي هذا الإتجاه انطباعا أن علم السياسة علما متجددا وقابلا للتكيف وتبني المنظورات الجديدة وتعدد المداخل لدراسة الظواهر السياسية، إذ يتزامن هذا الإتجاه مع موضوعات الألفية الجديدة المتجددة، مثل دراسة العالم الثالث، الأنظمة الاستبدادية، الفساد، الحروب الأهلية، الثورة، الكوربوراتية الجديدة.

المؤتمر من أجل علم سياسة جديد:

تزامن هذا المؤتمر بالتوازي مع صعود الحركة ما بعد السلوكية في علم السياسة، وهذه الحركة واكبت ظهور توجه عام جديد في الفكر البشري يهدف إلى تجاوز الحداثة، وعقلنة قطائعها التاريخية الرئيسية، وصولا بها إلى الحداثة البعدية أو ما بعد الحداثة التي بذرت الفكرة الأولى التي ترى الإنسان لم يعد مهيمنا، وهو الأمر الذي يحكم على العلوم الإنسانية بصفة عامة بعدم الإستقرار في أساسها، وما يفسر صعوبتها وعدم ثباتها، وعدم دقتها كعلوم وإستنادها على علوم ما عدا الفلسفة.

ولقد جعلت السلوكية إدراك العالم السياسي كملاحظ سلبي يصف ويفسر ما هو موجود في العالم السياسي، وما بعد السلوكية تحدت خرافة الحياد القيمي مُلمحة إلى أن كل بحث نظري تتخلله المعايير القيمية، كما ان هذه الحركة الأخيرة لم تكن تنطوي التفريق بين الواقع السياسي كما هو وبين تحليلات علماء السياسة، لقد اثمرت الإنتقادات التي تم توجيهها للسلوكية ظهور ما يسمى ب "مؤتمر من أجل علم سياسة جديد"، والذي حاول تحديد ملامح المرحلة المقبلة في علم السياسة وإعادة توجيهه. تم تنظيم المؤتمر سنة 1967 خلال الإجتماع السنوي ل APSA .وقد تم المؤتمر مرشحا لرئاسة الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية..كان من بين أعضاء المؤتمر عدد من المنظرين السياسيين العازمين على جلب النقاشات والإنتقادات حول الديمقراطية اللبيرالية الامريكية إلى قلب النقاشات الأكاديمية بعد أن كانت معزولة في محيط تخصص العلوم السياسية، ولتسويق طرحهم عمد أعضاء هذا "المؤتمر" إلى تغطية ما يرونه قصور في "الإتجاه السلوكي"، حيث توجهوا نحو الإهتمام بالقضايا الإجتماعية والأزمات السياسية، كما طالبوا بعلم سياسة يتخذ موقفا جماعيا موحدا من القضايا السياسية يتخذ موقفا جماعيا موحدا من القضايا السياسية المثيرة للجدل مثل: حرب فيتنام، التمييز العنصري، والفقر، إضافة إلى قضايا البيئة والمرأة[173].

لم يكن "روبرت داهل" يظن وهو يعلن واثقا انتصار النموذج السلوكي سنة 1961 بأنه لن تمر سوى بضع سنوات حتى بدأ ذلك النموذج في التعرض للإنتقاد الذي بلغ أشده مع منتصف عقد الستينات، حين تحدى مجموعة من الباحثين السياسيين الأمريكيين سلطة الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية في مؤتمرها السنوي، وإن لم يرفض المؤتمرون النزعة العلمية، لكنهم رأوا بضرورة ترتيب الأولويات، أولا الإلتزام بقضايا المجتمع، ثم العلمية تأتي في المرتبة الثانية، ومن الواضح أن المؤتمر من اجل علم سياسة جديد، قد جمع بين الأهداف الفكرية والأهداف السياسية، ولو أن أهدافه السياسية كانت أوضح مقارنة ب"السلوكيين"[174].

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر حول نجاح تلك الثورة الجديدة، إلا أن الدراسات السياسية لن تكون بعدها ضمن هيمنة نموذج واحد، فلم يعد بإمكان السلوكيين تسيير الحقل وفقا لرؤيتهم الجوهرية أو لتوجهاتهم المنهجية، واصبحت ما بعد السلوكية واقعا معرفيا يتوجب على علماء السياسة عدم تجاهل الأسباب التي أدت إلى ذلك التمرد داخل حقول العلوم السياسية. ويرى غابرييل ألموند أن ما بعد السلوكية

---

[173] -John Dryzek, Revolutions Without Enemies: Key Transformations in Political Science, American Political Science Review, Vol, No.04, (November 2006), p 490.

[174] - Idem, p 491

اهتمت أكثر بتطبيقات السياسة العامة دون الإهتمام بالنشاط السياسي، ورأى أن عالم السياسة ليس عالم اجتماع كي يهتم بتلك التطبيقات[175].

لقد أعلن دفيد ايستون بداية مرحلة ما بعد السلوكية على الرغم من بداياته وتوجهاته العلمية وهذا يعتبر تحولا هاما، لكنه دعا إلى الأنتقال الهادئ وأن التحول سبق وأن حدث بإنشاء الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية. ولخص ايستون المبادئ التي قامت عليها ما بعد السلوكية في النقاط التالية:

1- الجوهر أو المواضيع والقضايا يجب أن تسبق المنهج ولها الأولوية عليه، كما أن الإهتمام بمشاكل المجتمع وحل الإشكاليات السياسية أهم من التركيز على أدوات البحث العلمي.

2- العلم السلوكي قائم على اخفاء أيديولوجية الإمبريقية المحافظة، والإقتصار حصريا على وصف وتحليل الوقائع لإعاقة فهم نفس الوقائع بمحتوى آخر، ويجب ان يتحول الامر إلى إقامة أيديولوجية اجتماعية محافظة بدل النزعة العلمية والتجريدية المنفصلة عن الواقع

3- ما بعد السلوكية قائمة على كسر الحواجز التي سكتت عنها اللغة السلوكية، وذلك من أجل مساعدة علم السياسة على إدراك الحاجات الفعلية للبشرية في وقت الأزمات.

4-البحث عن بناءات لتنمية القيم هو أمر غير قابل للفصل في علم السياسة، ويستحيل تطبيق الحيادية في العلم فمعرفة حدود المعرفة تقتضي إدراك مقدمات قيمية.

5-يجب على الباحثين السياسيين تحمل مسؤولياتهم حول كل الأحداث التاريخية وحماية والدفاع عن القيم الإنسانية، وهذا يقتضي حرية البحث والتحليل والتخلي عن التقوقعات السابقة.

6- يجب العمل على إعادة صياغة المجتمع من خلال تحويل المعرفة إلى برنامج عمل.

7 - المنظمات العلمية، المنظمات المهنية، الجمعيات المحترفة، وحتى الجامعات نفسها يجب ألا تبقى بعيدة عن الصراعات التي تحدث يوميا في الساحة الإجتماعية والسياسية، بل يجب أن تُسيس المهنة ومؤسسات البحث[176].

---

[175] - Gabrial Almond, Separate Tables : Schools and Sects in Political Science, PS : political science and politics, vol.21, no. 04, (April 1988), p 840.

[176] - David Easton, The New Revolution in Political Science, American Political Science Review, vol. 63, no.04 (1969), p 1052.

أسئلة للطلبة:

أجب عن الأسئلة التالية:

1- هل تستهدف القابلية للتكذيب الافتراضات الأساسية للنظرية بما قد يقوض البرنامج البحثي؟
2- إلى أي مدى يمكن تصور بناء نموذج معرفي في حقل علم السياسة وفق التصور الكوهني؟
3- النظريات التي تضعف افتراضاتها الأساسية بما يجعلها تخرج من العلم العادي normal science تصبح محل انهيار، مثلما انهار الافتراض الأساسي للماركسية الكلاسيكية (اصابة النواة الصلبة).
4- يقول بوبر بشكل مقنع أن القوانين العلمية هي افتراضات تنبئية عامة مفيدة تم اختبارها باستفاضة ولم يثبت بطلانها حتى الآن. هل تجاوزت الافتراضات التي قدمها علماء السياسة هذا الإختبار؟
5- هل يمكن تصور بناء نموذج معرفي في حقل علم السياسة وفق التصور الكوهني؟
6- هل يملك الحقل مبدا لا مقايسة مقبول يسمح ببناء نظرية علمية كغيره من الحقول الإجتماعية والإنسانية أم لا.
7- هل ينتمي ألبرت أنشطاين (1879-1955) إلى الفيزياء الحداثية أو فيزياء ما بعد الحداثة؟ لماذا؟
8- لخص فكرة الإطار التحليلي النظري لمفهوم "العصر الوسيط الجديد".
9- المكون الرئيسي لطروحات فايرابنت هو نبذ الصرامة المنهجية والانعتاق من سلطة المنهج. اشرح ذلك.
10- هل فيزياء الكوانتوم هي فيزياء حداثية أم ما بعد حداثية؟ علل.
11- يقول بوبر بشكل مقنع أن القوانين العلمية هي افتراضات تنبئية عامة مفيدة تم اختبارها باستفاضة ولم يثبت بطلانها حتى الآن. هل تجاوزت الافتراضات التي قدمها علماء السياسة هذا الإختبار؟
12- ما معنى ما بعد الحداثة في علم السياسة؟
13- حدد أهم التمايزات القائمة بين النقاشات البراديمية الخمس في حقل علم السياسة
14- حدد مستوى التحليل ووحدة التحليل، والافتراضات المعرفية لدعاة ذوي النزعة ما بعد السلوكية. (ملاحظة: أذكر العناصر دون الشرح)
15- شكلت أعمال "إدوورد لورنتس" "الجانب الغريب وأثر الفراشة"، أرضية معرفية لعلوم التعقيد وتحليل السياسة العامة العالمية، قدم مثالا اسقاطيا تشرح فيه ذلك؟
16-

قائمة المراجع:

الكتب باللغة العربية:

1- ارغار موران، العقلانية وانتقاداتها، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، دار توبقال للنشر الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2006.

2- أينشتاين: النسبية: النظرية الخاصة والعامة، تقديم محمود أحمد الشربيني، ترجمة رمسيس شحاته، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب،

3- بول فيرابند: ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة محمد أحمد السيد، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية

4- محمد زاهي بشير المغيربي، قراءات في السياسة المقارنة: قضايا منهاجية ومداخل نظرية. ليبيا: منشورات جامعة قاريونس، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط2، .1998

5- الآن شالمرز: نظريات العلم، ترجمة الحسين سبحان وفؤاد الصفا، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى

6- بول فيرابند: ثلاث محاورات في المعرفة.

7- نجيب الحصادي: الريبة في قدسية العلم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.

8- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم بيروت-لبنان د ت ن، د ط.

9- برتراند راسل، مشكلة الفلسفة، تر: محمد عماد الدين اسماعيل، عطية محمود هنا، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1974.

10- محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982.

11- يفوت، سالم، ابستمولوجيا العلم الحديث.

12- بن ميس عبد السلام، السببية في الفيزياء الكلاسيكية: دراسة ابستمولوجية، المغرب: الدار البيضاء، سلسلة المعرفة الفلسفية، دار توبقال للنشر، ط1، 1994.

13- هشام غصيب، الطريق إلى النسبية من كوبرنيكوس إلى آنشتاين، الأردن: الجمعية العلمية الملكية، ط 1، 1988.

14- لالاند، أندريه، موسوعة الاند الفلسفية، المجلد الثالث، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط1، 1996.

15- بدوي، عبد الرحمن، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.

16 - محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، المعرفة العلمية، دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1996، ص 6

17- عبد الفتاح بدوي فلسفة العلوم، العلم ومستقبل الإنسان..إلى أين؟

18 - أحمد موسى بدوي، الابعاد الإجتماعية لانتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية.

19- روبار بلانشي، الإبستمولوجيا، تر: محمود بن جماعة، تونس، المغرب، دار محمد علي للنشر، دار عيني بناني، ط1، 2004.

20- أحمد موسى بدوي، الابعاد الإجتماعية لانتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية.

21- آمنة عبد السلام الزائدي، مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، العدد 3، (د.ت.ن).

22- مليكة جابر، اسهام الإبستمولوجيا في تعليمية علم الإجتماع، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان، 2012.

23- أحمد موسى بدوي، الابعاد الإجتماعية لانتاج واكتساب المعرفة حالة علم الاجتماع في الجامعات المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية.

24- ماهر عبد القادر، مشكلات الفلسفة، بيروت، دار النهضة المصرية، 1985. -

25- صايم عبد الحكيم، أزمة العلوم في الخطاب الإبستمولوجي المعاصر، أوراق فلسفية، العدد 35، 2013/2012.

26- علي عبد المعطي، مقدمات في الفلسفة، بيروت، دار النهضة المصرية، 1985.

27- برتراند راسل، مشاكل الفلسفة، تر: محمد عماد الدين اسماعيل، عطية محمود هنا، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1974.

28- محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982.

29- صايم عبد الحكيم، أزمة العلوم في الخطاب الإبستمولوجي المعاصر، أوراق فلسفية، العدد 35، 2013/2012.

30- لاكاوس، إيمر، تاريخ العلوم ومنهجيتها، برامج البحث والبناء العقلاني الجديد، دراسات فكرية، تر: وجيه أسعد، دمشق: منشورات الهيئة السورية للكتاب، 2011.

31- لحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، أ. ض.

32- سبونفيل، أندريه كونت، طريق المعرفة الفلسفية.

33- بوبر، كارل، الوقائع، المعايير والحقيقة، تتمة لنقد النسبية 1961، تر: عاكف العربي، مدارات فلسفية، مجلة الجمعية الفلسفية المغربية، العدد.97

34- علي حسن الجابري، فلسفة العلوم دروس في الأسس النظرية وآفاق.

35- بوبر، كارل، الوقائع، المعايير والحقيقة تتمة لنقد النسبية، (1961).

36- بوبر، كارل، منطق الكشف العلمي، تر وتقديم، ماهر عبد القادر محمد، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، د ت.ن.

37- كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية.

38- هيلي، باتريك، صور المعرفة: مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة.

39- كون، توماس، تركيب الثورات العلمية، تر وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2000.

40- ياكوفيتس، يو.ف، أعظم ثورة علمية في القرن الحادي والعشرين، تر: سعيد الباكير، دمشق: منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2012،

41- توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: علي نعمة، ط1، بيروت: دار الحداثة، 1986.

42- بلانشي، روبار، الأكسومية أو منظومة الأولويات، تر: محمود بن جماعة، صفاقس، الدار البيضاء: دار محمد علي للنشر، دار عيني بناني، ط1، 2004.

43- لوكور، دومينيك، فيم تفيد الفلسفة إذن؟ من علوم الطبيعة إلى العلوم السياسية.

44- كانغيلام، جورج، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر: محمد بن ساسي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007.

45- علي، حسين، العلم والأيديولوجيا: بين الإطلاق والنسبي، القاهرة: الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع، د. ط، 2008.

46- تيبس، يوسف، التصورات العلمية للعالم: قضايا واتجاهات في فلسفة العلم المعاصرة.

47- فيرابند، بول، ثلاث محاورات في المعرفة، مع دراسة نسبية المعرفة عند بول فيرابند، تر: محمد أحمد السيد، منشأة المعرف، الإسكندرية، د ط، د س ن.

48- ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم.

49- محمد وقيدي، ما هي الإبستمولوجيا؟ الرباط: دار المعارف، ط2، د.ت.ن.

50- محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، الجزء 2، بيروت: دار الطليعة، ط2، 1982.

51- محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، بيروت: دار النهضة العربية، 1980.

52- موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، إعداد: روني إيلي ألفا، مراجعة جورج نخل، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

53- باشلار، غاستون، الفكر العلمي الجديد، تر: عادل العوا: د. عبد الله عبد الدايم، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.

54- موران، إدغار، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2004.

55- موران، إدغار، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب.

56- موران، إدغار، هل العلم بدون وعي مدان؟ تر: محمد فرطميسي، الدار البيضاء، فكر ونقد، السنة الرابعة، العدد 38، أفريل 2001.

57- موران، إدغار، هل العلم بدون وعي مدان؟

58- موران، إدغار، تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، تر: حسين شريف، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2001.

59- الحنفي عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، أ.ض.

60- محمد ناصر عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي- النظرية- المنهج. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002.

61- محمود حيدر، الدولة فلسفتها وتاريخها من اغريق الى ما بعد الحداثة. المركز اسلامي لدراسات استراتجية، 2018.

62- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء 2.

63- محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية. 64- محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014.

65- مقالة، قراءة في تطورات الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسية

66- جون س. درزيك، ترجمة: عادل زقاغ، قراءة في تطورات الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية.

67- محمد امين جيلالي، دينامية التجديد الابستمولوجي لمفهوم الدولة وفق السياسة المقارنة، مجلة اكاديمية، 2014.

الكتب باللغة الأجنبية:

68- Gabrial Almond, Separate Tables : Schools and Sects in Political Science, PS : political science and politics, vol.21, no. 04, (April 1988).
69 - Auroux, Sylvain, Les notions philosophiques Dictionnaire Tome 2, Presse Universitaire de France, Paris, 1990.

70- H.Freigl et M. BRODBECK, Reading of the philosophy of science, New York, Appleton Century Crofts, 1953.
71- Vorms, Marions, Qu'est-ce qu'une théorie scientifique ? Collection « Philosophie des sciences » dirigé par Thierry Martin, Vuibert, par EMDS.A. S France, 2011.
72- Imre Lakatos, 'Falsification and the Methodology of Scientific Research programmes' , 1969, in: The Methodology of Scientific Research Programmes. Philosophical Papers, volume 1. edited by Worrall and Currie, Cambridge University Press, reprinted 1984.

73- L. Jonathan Cohen, An Introduction To The Philosophy of Induction And Probability, Oxford university press, New york, 1989, p. 142. Imre Lakatos, The methodology of scientific reserch programmes, philosiphical papers, volume1, editted by Jhon Worrall and Gregery Currie, first published 1978, reprinted 1984, cambridge university press.
74 - Denis HUISMAN: Tableau de la Philosophie contemporaire-Ed.Fischbacher-Paris 1967.
75 -A. KREMER-MARIETTI: Le Positivisme- P.U.F- Paris 1er Ed-1982-.
76-Lena Soler, Introduction à l'Epistémologie, ellipes éditions marketing, Paris, France, 2000.
77- Easton David, The New Revolution in Political Science, American Political Science Review, vol. 63, no.04 (1969), p 1052.
78- Imre Lakatos, History of Science and its Relational Reconstructions, PSA : Proceedings of the Biennial Meeting of the Philosophy of Science Association, Vol.1970, (1970).
79- International Encyclopedia of the Social Sciences, (William A.Darity), 2nd edition, vol.06.
80- Imre Lakatos and Alan Musgrave, Criticism and the Growth of Knowledge, Cambridge, UK, Cambridge University Press, 1970.
81- Wiarda Howard, Comparative Politics : Approaches and Issues, USA, New York : Romwmam& Littelfield Publishers, 2007.
82- Imre Lakatos, Science and pseudoscience, Philosofical Papers, vol.01, (1973).

83 - Paul GINESTIER : Pour Connaitre Bachelard- Bordas 3 éme Ed. Paris 1987.
84 - Gaston Bachelard : Essai sur la Connaissance Approchée-Librairie Philosophique-J.Vrin- 3 éme Ed. Paris 1969.
85 - Jean-pierre Changeux, La Vérité dans les sciences, Collége de France, Odile acob, Paris, 2003.
86 -Hitchener, Bell Gilletteand Levise, Carol. Comparative Government, and Politics. New York, Dodd Mead and Company, 1967.
87- Gunnell, G. John, Handbooks and History : Is It Still the American Science of Politics, International Political Science Review / Revue international de science politique, Vol.23, No. 04, (Oct, 2002).
88-Elbridge Sibley, Social Sciences Research Council: The First Fifty Years, (New York, Social Sciences Research Council, 1974.
89- Kohn, Melvin, L. ed., Cross-National Research in Sociology. London : Sage Publication, 1989.
90- Shu-Yun Ma, 'Political Science at the Edge of Chaos ? The Praradigmatic Implications of Historical Institutionalism', International Political Science Review, Vol.28, No.01,2007.
91- John Dryzek, Revolutions Without Enemies: Key Transformations in Political Science, American Political Science Review, Vol, No.04, (November 2006).

المواقع الإلكترونية:

92- www.philosophyofsci.com/index.php?id=84#sdfootnote2sym
93- www.al-mostafa.com
94- www.libyaforall.com. .
95- www.al-mostafa.com.
96- www.4shared.com.